جيل الوعد الإلهي المنشود (٣)

الوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن

(المقاصد – المآلات – المقدمات – المراحل)

الجزء الأول

سعيد أحمد
ماجستير الفقه – جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى
شعبان ١٤٤٧ هـ / فبراير ٢٠٢٦

جيل الوعد الإلهي المنشود (٣)

الوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن

(المقاصد – المآلات – المقدمات – المراحل)

الجزء الأول

سعيد أحمد

ماجستير الفقه – جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى

شعبان ١٤٤٧هـ/ فبراير ٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره. ونتوب إليه، ونعوذ بالله ﷻ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله ﷻ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ﷺ. أرسله الله ﷻ بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

هذا هو الكتاب الثالث في سلسلة "جيل الوعد الإلهي المنشود". هذه السلسلة التي تبحث حال المجتمع المسلم المعاصر، والمواصفات والمتطلبات التي تجعله مستحقا لوعد الله ﷻ بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن. إن قيام الخلافة الإسلامية الراشدة الثانية، يجب أن يسبقه إقامة دولة للإسلام في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، بعد إصلاح المجتمع. ومن ثم تبدأ فيما بين هذه الأقطار رحله الوحدة في كافة المجالات. هذه الوحدة التي ستؤول إلى إحياء منصب الخلافة الإسلامية، وإقامة الخلافة الراشدة الثانية التي بشر بها النبي ﷺ.

وصياغة شخصية الفرد صياغة إسلامية متكاملة، هي السبيل الوحيد لصبغ المجتمعات في مختلف أقطار العالم الإسلامي بالصبغة الإسلامية، بدلا من صبغات شرقية أو غربية، ألهت المسلمين عن دينهم الذي رضيه الله ﷻ لهم. هذه الصبغة التي سينصبغ بها المجتمع في كل قطر من أقطار الأمة الإسلامية، تُمَّكن أهل الإسلام من استدراك ما فاتهم من معالم الإسلام التي اندثرت في مجتمعاتهم، فأصبحوا أبعد ما يكون عن فهم الإسلام، وروحه، وتعاليمه، ومقاصده، وقيمه، وآدابه، وشرائعه. فضلا عن الحياة به، والعيش في نوره.

أما عنوان هذا الكتاب فهو: " الوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن (المقاصد – المآلات – المقدمات – المراحل)". فالوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن، مشيئة إلهية، وهي مقاصد هذا الوعد. وإقامة خلافة إسلامية راشدة، وتحكيم الشرع في أمور الحياة، الكبيرة والصغيرة، الظاهرة والباطنة، الفردية والمجتمعية، والأمن الشامل الذي يفضي إلى الحضارة الشاهدة على الأمم، مراعاة لهذه المقاصد.

إن ورود هذا الوعد في سورة النور، كمشيئة إلهية، من دقة وعظمة وإعجاز القرآن العظيم؛ فهذه السورة الفريدة رسمت ملامح المجتمع المسلم النموذجي القدوة، الملتزم بالإسلام التزاما يؤهله لتمثيل الإسلام بين المجتمعات الإنسانية بالمستوى الذي يريده الله ﷻ لبيان خيرية هذه الأمة، ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[1]، ولتأكيد وسطيتها ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[2]، لتكون شاهدة على غيرها من الأمم ﴿**لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[3].

لقد بينت سورة النور بجلاء مقومات ومقدمات ومقاصد هذا الوعد، هذه المقومات والمقدمات والمقاصد، التي تنساح بين ثنايا آياتها البينات التي فرضها الله ﷻ ﴿**لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[4]، ومن ثَمَّ تتجمع وتترابط وتتبلور في هذا الوعد، الذي يمثل ذروة سنام السورة.

وهذا الكتاب يهدف لبيان نقاط مهمة في أمر هذا الوعد، نستلهم بها طريق الغد الإسلامي المشرق، ونستشرف مستقبل الأمة الإسلامية، في ضوء أنوار هذه السورة المباركة.

علينا أولا أن نتعرف على مقاصد هذا الوعد، وما يترتب على استيعابها، لذلك نتحدث عن الموضوعات الآتية:

أولا – مقاصد هذا الوعد الذي بشر الله ﷻ به عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

ثانيا – المآلات التي ستؤول إليها المجتمعات الإسلامية، بمراعاتها مقاصد هذا الوعد.

ثالثا– المقدمات التي تتقدم هذه المآلات، والتي تنقسم إلى مقدمات إلهية، ومقدمات بشرية فردية وجماعية.

رابعا – المراحل التي يجب على المسلمين قطعها – من وجهة نظري – حتى يتحقق لهم وعد ربهم بالاستخلاف والتمكين والأمن. تلك المراحل التي استلهمناها من سورة النور. وكذلك ما يرتبط بهذه المراحل من وسائل وبرامج وخطوات مقترحة.

وقد قسمت موضوعات الكتاب إلى أجزاء: الجزء الأول منه، اختص بالمقاصد والمآلات. أما المقدمات والمراحل فتأتي في جزء أو أجزاء تالية إن شاء الله ﷻ. والملاحظ هنا هو أن عدم إدراج المقدمات والمراحل في الجزء الأول، كما إنه كان بسبب كبر الحجم المتوقع للكتاب، إلا إنه أيضا له فائدة عملية؛ ألا وهي إعطاء فرصة للقارئ للدراسة المتعمقة للمقاصد والمآلات، والتفكير المركز في دوره المنوط به، والمجهود

---

[1] - آل عمران: ١١٠
[2] - البقرة: ١٤٣
[3] - البقرة: ١٤٣
[4] - النور: ١

الواجب عليه بذله، في سبيل الله ﷻ، كواحد من أبناء الصحوة الإسلامية، وما يجب عليه من مسؤوليات، كفرد، ورب أسرة، وصاحب مهنة، وعضو في المجتمع، دون انتظار إذن أحد.

ولقد سبقنا في الكتابة في هذا الموضوع علماء أجلاء، نعرف لهم فضلهم وسبقهم. تعلمنا منهم، وتتلمذنا على كتبهم، ونهلنا من علمهم. غير أن باب الاجتهاد مفتوح، ومجاله واسع رحب. والمجتمعات الإسلامية بحاجة إلى جهد واجتهاد الجميع، عسى أن يتكشف لها ما قد يدفعها إلى الأمام، أو يفتح لها باب أمل، لم تكن تلتفت إليه.

ولكم كنت أرجو أن تكون لأُولِي أمر المسلمين وأئمتهم (جمهرة علماء الإسلام) – بالاشتراك مع العلماء المسلمين المتخصصين في العلوم الدنيوية ذات العلاقة بفقه التمكين – فقه واجتهاد جماعي، في موضوع فقه التمكين، ومتطلباته، ومراحله، وما يتعلق به. أن تكون لهم هبة جماعية ينير بها الله ﷻ درب المسلمين، ويبزغ لهم بها النور الهادي للخروج من جحر الضب الذي أدخلوا أنفسهم إليه بإرادتهم، ومن دياجير الظلام التي غطت سماء المسلمين.

لكن إذا لم يكن اليوم مفر من الاجتهاد الفردي في هذا الأمر، فيجب أن يتضح ما نسعى إليه، حتى نكون على بينة من أمرنا. إن غاية وهدف هذه السلسلة (سلسة جيل الوعد الإلهي المنشود) هو المشاركة بجُهْدِ المُقِلّ، في تهيئة المجتمع المسلم وقيادته التي ستبرز – في تصورنا – من خلال حركة هذا المجتمع، سعيا لحسن الاستعداد لتلقي وعد الله ﷻ، ووصول هذا المجتمع وقيادته إلى لحظة فارقة، يُتخذ فيها قرار التغيير، بالطريقة المناسبة لمقتضيات الأحوال في ذلك الزمان والمكان، الذي يتم حينه التأكد من استكمال هذه التهيئة التي تستجلب توفيق الله ﷻ ونصرته وهدايته، استلهاما من سورة النور. أما طريقة هذا التغيير فهي بين أمرين قد بينهما الحق ﷻ في سورة المائدة: ﴿ **فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بالفتح أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ** ﴾[1]، فإما أن يأتي التغيير كنتيجة للأسباب والإجراءات التي اتبعها المؤمنون، وإما النصرة بالربوبية، فضلا من الله ﷻ ونعمة[2].

* * * *

[1] - المائدة: ٥٢

[2] - الشعراوي، محمد متولي (١٤١٨هـ). تفسير الشعراوي – الخواطر. ط: مطابع أخبار اليوم، ٣٢٠٠/٥.

تمهيد

مفهوم التمكين

التمكين في اللغة وفي المدلول الاصطلاحي العام يدور حول: الاستقرار، والثبات، والرسوخ، ويدل كذلك على إزالة الموانع، وإعطاء الإذن. كما يدل على السلطان، والقدرة على التصرف، والسيطرة، والتحكم، والهيمنة، وتَبَوُّء المكانة المرموقة[١].

والاستعمال القرآني للتمكين كما في اللغة: (تثبيت مؤكد، ثم سلطان، وقدرة على التصرف)[٢]، وقد غلبت على مفردة (التمكين) في القرآن الكريم، صيغة الفعل المُضَعَّف (مَكَّن) التي تُظهِر التمكين كأنه صيرورة (انتقال من حال أو زمان إلى غيره) وليس مفهوما ساكنا[٣].

ومفردة (التمكين) لها ظلال في علوم كثيرة، كعلوم القرآن، وعلم البديع، وعلم المعاني، والقانون، والإدارة، والصحة، وغيرها من العلوم. ولكل علم منها تعريفه الخاص للتمكين؛ حسب معطيات ومبادئ وقواعد هذا العلم. أما عند أبناء الصحوة الإسلامية (بصفة عامة) في عصرنا الحالي، فإن (التمكين) في غالب الأمر يُقصَد به الوصول لسدة الحكم، ومن ثم الحكم بالتشريع الإسلامي[٤].

التمكين للأمة الإسلامية

التمكين الذي نعنيه، هو التمكين للأمة الإسلامية، خير أمة أخرجت للناس.. الأمة الوسط .. ذات الحُكم الراسخ، والدين المتين، والحضارة الحديثة، الشاهدة على غيرها من الأمم. ولا نقصد بالتمكين العمل لاستلام طائفة بعينها أو فئة مخصوصة أو مجموعة محددة – مهمة كانت درجة صلاحها– الحكم، دون غيرها من أهل الإسلام، فالجميع متساوون، وما عند هذا ليس عند غيره، وما عند غيره ليس عنده.

---

[١] - الفروق اللغوية، ص: ١١١. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٣٦١/٩. شرح حدود ابن عرفة، ص: ٣٧٩. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ١٠٩. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ٢١٠٤/٤. التمكين، أسسه وأساليبه – دراسة بلاغية تطبيقية، ص: ١٣. سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم، نظرات في الغايات والأهداف، مقال منشور في موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.

[٢] - التمكين، أسسه وأساليبه – دراسة بلاغية تطبيقية، ص: ١٤.

[٣] - حافظ، فاطمة. التمكين بين الرؤية القرآنية والرؤية الحداثية. مقال منشور في موقع إسلام أون لاين. https://islamonline.net/التمكين-بين-الرؤية-القرآنية-والرؤية-ا/

[٤] - استعرضنا تعريفات العلماء والباحثين وتعريفنا للتمكين وفقه التمكين في كتابنا: نور الوعد الإلهي ٣- فقه التمكين بآفاق وأبعاد جديدة. [متوفر على شبكة الإنترنت بي دي اف].

والتمكين للأمة الإسلامية له علاقة وثيقة بقول الله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾[١]. في الآية يبدو تمكين الدين نتيجة مترتبة على عملية الاستخلاف في الأرض (الحكم الإسلامي الراشد)، ثم يُفضي الاستخلاف والتمكين للدين إلى تحقيق الأمن للأمة الإسلامية، فتتحقق تكاملية عملية التمكين العامة في بعديها المادي والروحي[٢].

لذلك فإن تعريفنا للتمكين للأمة الإسلامية يشمل كل هذه الأمور:

التمكين للإمة الإسلامية هو: **"إقامة خلافة على منهاج النبوة، والمحافظة على بقائها، وتنميتها المستدامة، بحيث يهيمن فيها دين الإسلام الكامل الشامل، على قلوب المسلمين وواقع حياتهم- الأفراد والمجتمعات والحكام - وتسترد بها الأمة الإسلامية: حريتها، ووحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وتقيم حضارتها على أساس العقيدة، لتكون شاهدة على الأمم في الدنيا والآخرة، تحقيقا لمراد الله ﷻ من خلقه"**[٣].

بين التمكين للأمة والتمكين للدولة

اعتبار أن التمكين للأمة الإسلامية، هو الذي يجعل الأمة مهيمنة على الدولة لا العكس، فالأمة التي بناها رسول الله ﷺ كانت هي التي تدبر وتدير شؤونها الدينية والثقافية، وتحل مشاكلها المعيشية، وتنهض بمشاريعها العلمية والتعليمية، وتحقق إنجازاتها العمرانية والحضارية. وكانت الدولة تشجع وتساعد وتنظم.

وقد تضعف الدولة، فتصبح عالة على المجتمع، وقد تنحرف فتصبح عائقا في طريق المجتمع، أو تطغى فتصبح سيفا على رقاب أبنائه. لكن المجتمع رغم هذا كان يظل نشيطا متجددا في طاقاته وعطاءاته. ولعل تصفح دور (الأوقاف) في الأمة يعطينا المثال على الأدوار والعطاءات العظيمة التي تستطيع الأمة أداءها حين تأخذ حريتها وتملك مبادرتها، ولعَلِمْنا أية خسار نُمنى بها حين نجعل التمكين خاصا بالدولة (أو بمجموعة من المجموعات) منزوعا من الأمة، أو حين يصبح التمكين تمكينا للدولة ضد الأمة.

---

[١] - النور: ٥٥

[٢] - التمكين بين الرؤية القرآنية والرؤية الحداثية، (مقال).

[٣] - راجع كتابنا: "ملامح المجتمع المسلم المنشود في سورة النور". (متوفر على الانترنت. بي دي اف).

وإذا كان للدولة مهام قيادية وريادية لا تُنْكر، إلا أن الدولة التي تهمش الأمة وتلغي صلاحيتها وتكبت مبادراتها، وتهيمن وتحتكر الوظائف والصلاحيات، وتجعل الألاف أو الملايين من القادرين على الإبداع والعطاء الحضاري يقفون مشلولين، أو مناوئين، لأن الدولة هي التي تفكر وتبادر، وهم ليس لهم مكان في الدولة. مثل هذه الدولة لا يمكن أن تكون دولة رائدة ولا مبدعة حقا.

أما حين نعتمد مركزية الأمة، ويكون التمكين للدولة – في الوضع الصحيح – نتيجة وفرعا عن التمكين للأمة، وحين نعتمد حرية المبادرة في الفكر والقول والعمل، ونشجعها ونساعدها، فإن الأمة تتحرك في كل اتجاه، وتبدع وتعطي في كل جانب، من دون أن يؤثر ذلك سلبا على الدولة وقيادتها ورعايتها، بل لا يؤثر ذلك على الدولة إلا بمزيد من القوة العافية والرُقي[1].

فقه التمكين

التمكين للأمة الإسلامية في العصر الحديث، له فقه خاص به، يُطلق عليه (فقه التمكين)، وقد حفلت كتب العلوم الشرعية المختلفة ببيان مفردات تدخل تحت هذا الفقه. في العصور السابقة لم تكن هناك حاجة لبروز علم مخصوص، خاصة مع وجود دولة الخلافة الإسلامية بمراحلها المختلفة. لكن في عصرنا الحديث بدأ اهتمام خاص بهذا الفقه، للحاجة إليه كعِلم مخصوص، إلا إنه لم يتبلور بشكل كامل، ويحتاج إلى بذل الجهود لإنضاجه. وللعديد من العلماء تعريفات لفقه التمكين، ونسوق تعريفنا له، بما يتناسب مع تعريفنا للتمكين.

فقه التمكين، هو: " **الفهم والعلم اللازم لإقامة خلافة على منهاج النبوة، والمحافظة على بقائها، وتنميتها المستدامة، بحيث يهيمن فيها دين الإسلام الكامل الشامل، على قلوب المسلمين وواقع حياتهم- الأفراد والمجتمعات والحكام - وتسترد بها الأمة الإسلامية: حريتها، ووحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وتقيم حضارتها على أساس العقيدة، لتكون شاهدة على الأمم في الدنيا والآخرة، تحقيقا لمراد الله ﷻ من خلقه**"[2].

[1] - الريسوني، أحمد. الأمة هي الأصل- مقاربة تأصيلية لقضايا الديمقراطية، حرية التعبير، الفن. ط: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص: ٢٧:٢٩.

[2] - شرحنا تعريف فقه التمكين، وحاجة المسلمين إليه، وأمور أخرى، في كتابنا: نور الوعد الإلهي ٣- فقه التمكين بآفاق وأبعاد جديدة. (متوفر على الانترنت بي دي اف).

المنهج الحركي لفقه التمكين

المنهج الحركي بمعناه اللغوي يعني: الطريق العملي للتحرك في الواقع[1]. وفي الاصطلاح فإن مصطلح (المنهج الحركي) حديث نسبيا، ظهر بعد ظهور الحركات الإسلامية، حيث أصبح المنهج الحركي شعارا على منهجها، الذي تسعى من خلاله إلى إحياء مفهوم الدين في المجتمعات الإسلامية، لأنه لا يمكن إصلاح الناس الأحياء المتحركين، بمنهج جامد بارد، معزول عن الحياة، مرصوص في أرفف المكتبات، أو كامن في أذهان قوم لا يعيشون واقعهم، ولا يعرفون هموم المجتمع، ولا التيارات التي توجهه وتعصف بأفكاره وقيمه وأخلاقه[2].

وعلى كلٍ فإن (المنهج الحركي) مصطلح عام، يتغير ما يفيده بتغير ما يضاف إليه. فإذا أُضيف إلى السيرة النبوية الشريفة مثلا، قلنا: (المنهج الحركي للسيرة النبوية)، ويُقصد به الخطوات المنهجية التي تحرك بها النبي ﷺ منذ بعثته حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى[3]. وإذا أُضيف إلى القرآن، قلنا: (المنهج الحركي في تفسير القرآن)[4]، ويُقصد به دعوة المسلمين إلى حسن فهم القرآن وتدبره، ثم حسن الحركة به في عالم الواقع، وليس الاكتفاء بدراسته دراسة تفسيرية نظرية[5]، ولا شك أن فهم بيان القرآن، ثم العمل بهذا الفهم، أي أخذ القرآن بهذا المنهج الحركي، هو الذي ميز الصحابة عن غيرهم.

وهكذا يمكن أن يُضاف مصطلح " المنهج الحركي" إلى فقه التمكين، ليتكون لدينا مصطلح: (المنهج الحركي لفقه التمكين)، أي البرنامج العملي المخطط المدروس، للتحرك في الواقع، للوصول إلى التمكين للأمة الإسلامية، بالحكم الإسلامي الراشد الراسخ، وهيمنة الإسلام الكامل الشامل على قلوب وواقع المسلمين، والحضارة الحديثة الشاهدة على الأمم، والمرتكزة على عقيدة التوحيد، في ظل الأمن الشامل.

وعلى هذا الأساس يمكننا تعريف المنهج الحركي لفقه التمكين بأنه: " **الخطة العملية الموضوعية للتحرك في الواقع، لإقامة خلافة على منهاج النبوة، والمحافظة على بقائها، وتنميتها المستدامة، بحيث يهيمن فيها دين الإسلام الكامل الشامل، على قلوب المسلمين وواقع حياتهم- الأفراد**

---

[1] - حسين: حَظِيَّة، المنهج الحركي في تفسير القرآن بين الأصالة والتجديد، بحث منشور في مجلة البيان، الصادرة عن قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا، كوالالمبور – ماليزيا، مجلد: ١٠، عدد: ٢، ديسمبر ٢٠١٢، ص: ٧٣.

[2] - المرجع السابق، ص: ٨٢.

[3] - الغضبان: منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط: مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء، ص: ١٥.

[4] - المنهج الحركي في تفسير القرآن بين الأصالة والتجديد، ص: ٧٥.

[5]- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. ط: دار القلم، ص: ٦٠٦.

والمجتمعات والحكام - وتسترد به الأمة الإسلامية: حريتها، ووحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وتقيم حضارتها على أساس العقيدة، لتكون شاهدة على الأمم في الدنيا والآخرة، تحقيقا لمراد الله ﷻ من خلقه ".

أو هو: " **الخطة العملية الواقعية، لإقامة دولة الخلافة الإسلامية العالمية الراشدة الثانية التي بشر بها النبي ﷺ ، وتجديد أمر دين الإسلام، وإقامة حضارة إسلامية حديثة، شاهدة على الأمم.".**

حكم العمل لتمكين الأمة الإسلامية

لكي نتعرف على الحكم الشرعي للعمل لتمكين الأمة الإسلامية، علينا أولا أن نتعرف على حكم التمكين للأمة الإسلامية، ومن ثم يمكن أن نصل للحكم الشرعي للعمل للوصول لهذا التمكين.

إن التمكين للأمة الإسلامية يعني: إقامة الخلافة الإسلامية الراشدة، التي يفضي قيامها إلى كل ما يليها، كتحكيم الشريعة، وتوحيد الأمة، وردها إلى وسطيتها، ونشر الأمن الشامل المناسب لإقامة الحضارة الحديثة، الشاهدة على الأمم.

وإقامة دولة الخلافة الإسلامية (الدولة الإسلامية الشرعية) من الفروض الكفائية، وبإقامتها تُحفظ كل المصالح، وتتحقق كل المقاصد الشرعية[١]. فهي فرض كفائي أو واجب شرعي كفائي، الذي لا يختلف عن الفرض العيني، إلا من حيث القائم به، فإذا كان يُنظر في الفرض العيني إلى الفاعل نفسه، ووجوب قيامه بالفعل بنفسه، ففي الفرض الكفائي يُنظر إلى حصول الفعل (درء المفاسد الدينية والدنيوية أو جلب المصالح الدينية والدنيوية)، فإذا قام به أي عدد من الناس، وتحققت بهم كفاية مجتمعهم، سقط الواجب والإثم عن باقي أفراد المجتمع، وإلا أثم من لم يشارك، أو أثم الجميع إذا تركوا الفعل جميعا.

إن فرض الكفاية هو الفرض التضامني المجتمعي، الذي لابد من فعله لحصول كفاية المجتمع بالجودة اللازمة. وإذا لم يقم به أحد إثم الجميع، وقد توصف الأمة بالفسق، في قول بعض العلماء[٢].

من هنا يتضح لنا أن حكم العمل لتمكين الأمة الإسلامية، وإقامة الخلافة الراشدة الثانية، أنه فرض كفائي، يحتاج إلى جهود جماهير أبناء الصحوة الإسلامية، في مختلف التخصصات الدينية والدنيوية، العلمية

[١] - الريس، محمد ضياء الدين. النظريات السياسية الإسلامية. ط: مكتبة دار التراث - الطبعة السابعة. ص: ٣١١.
[٢] - راجع كتابنا: "نور الوعد الإلهي ١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني".

والعملية. ولا يفلت أحد منهم من الإثم والحرج إلا من ساهم بشكل حقيقي في العمل الجاد الواقعي، الذي يثمر نتائج على الأرض أو أعان من يقوم بدوره في هذا العمل.

وأخيرا، إذا لم يكن للفرد المسلم من أفراد الصحوة الإسلامية، المنتمي لحركة إسلامية وغير المنتمي – دون إذن من أحد – مساهمة يومية جادة ذات أهداف واضحة محددة، تصب في مجرى هذا الهدف الضخم، مع نفسه، وعشيرته الأقربين، ومع المجتمع من حوله قدر المستطاع – فيما لا يعود عليه بالضرر بسبب ظروف المجتمعات الإسلامية – فليراجع نفسه، فإن الأمر جد خطير.

الخلاصة

التمكين في العصر الحديث هو التمكين للأمة الإسلامية، بإقامة الخلافة الراشدة الثانية. وهذا التمكين يشمل الحكم الإسلامي الراشد الراسخ، بما يترتب عليه من هيمنة الإسلام الكامل الشامل على قلوب وواقع المسلمين، والتحرير الشامل في كل المجالات للأمة الإسلامية، واستعادة خيريتها، وردها إلى وسطيتها، والشهود الحضاري في ظل الأمن الشامل. وهو الذي يحقق البشرى النبوية الكريمة بخلافة على منهاج النبوة في آخر الزمان. والعمل لتمكين للأمة الإسلامية فرض كفائي، على جماهير الصحوة الإسلامية، فلا يسقط عنهم الحرج والإثم حتى تقوم الخلافة الراشدة التي بشر بها النبي ﷺ .

أولا - المقاصد

أولا – مقاصد الوعد الإلهي

مقاصد الخَلق ومقاصد الشرع

المَقاصِد في اللغة هي الغايات والأهداف. أما في الاصطلاح فتنقسم المقاصد إلى مقاصد خلق وتكوين، ومقاصد شريعة. "فالقصد التشريعي شيء، والقصد الخَلقي شيء آخر، ولا تلازم بينهما"[1].

ومقاصد الخلق أو التكوين، هي التي تتعلق بمثل جعل الإنسان خليفة في الأرض، في قوله ﷻ: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[2] ، وأن الجن والإنس ما خُلِقوا إلا لعبادة الله ﷻ، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[3]، وأن من واجب الانسان تعمير الأرض: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾. وهي التي تُعَرِّف الإنسان بدوره ورسالته في هذا الوجود، حتى يسير وفق ما يرضي الخالق ﷻ[4].

أما مقاصد الشريعة فهي: "الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقيها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان"[5]. وقد يترادف معنى كل من المقاصد والحكمة ويتماثل عند الإطلاق أو التعبير في أغلب الأحيان[6].

وبيان ذلك أن الإرادة الإلهية على معنيين:

١– الإرادة الخَلقية التكوينية القَدَرية (مقاصد الخلق والتكوين) المتعلقة بكل مراد لله ﷻ في الكون؛ فما شاء أو أراد الله ﷻ كان ، وما لم يشأ أو لم يرد لم يكن.

٢– الإرادة الأمرية، المتعلقة بطلب فعل، والنهي عن فعل. أي إلزام المُكَلَّف الفعل أو الترك. والإرادة الأمرية هي إرادة التشريع، أو أرادة التكليف، أي مقاصد الشارع من الأمر أو النهي. فإذا أمر الشارع بشيء استلزم ذلك قصده أن يُفعل، وإذا نهى عن شيء استلزم قصده أن يُترك فعله[7].

---

[1] - الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ). الموافقات. ت: مشهور بن حسن آل سلمان. ط: دار ابن عفان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٢/٥٠.

[2] - البقرة: ٣٠

[3] - الذاريات: ٥٦

[4] - دخوش، كلثومة. مفهوم التعارف بين مقصدي الخلق والتشريع. مقال منشور في موقع الرابطة المحمدية للعلماء – المملكة المغربية، يوم ٣١-١٢-٢٠١٩. https://www.arrabita.ma/مفهوم-التعارف-بين-مقصدي-الخلق-والتشري/#_edn٤

[5] - الزحيلي، محمد مصطفى. مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: ١.

[6] - الخادمي: نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، ط: مكتبة العبيكان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ص: ٢١.

[7] - الموافقات، ٣/٣٧١-٣٧٥.

والإرادة الإلهية والمشيئة الربانية التكوينية يُعبر عنها بالقوانين والسنن التي تنظّم أحوال العالم كله (جنس البشر)، وحركاته التي ليست اختيارية (الجبرية). وقد يُطلق عليها خطأ اسم الطبيعة. أما الإرادة الأمرية فهي الشريعة التي تنظم أفعال الإنسان الاختيارية. وقد تجتمعان أحياناً معاً[1].

ومما يوضح العلاقة بين القصد الخَلقي الكوني القدري، والقصد التكليفي:

أ- الآيات الخاصة بالعبادة بصفتها مقصدا للخلق، كقوله ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2]، يقابلها على جانب مقاصد الشريعة، ما وضحه الشاطبي[3]: " الْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ إِخْرَاجَ الْمُكَلَّفِ عَنْ دَاعِيَةِ هَوَاهُ، حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا، كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ اضْطِرَارًا"[4]، أي "الرُّجُوع إِلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَالِانْقِيَادِ إِلَى أَحْكَامِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهُوَ مَعْنَى التَّعَبُّدِ لِلَّهِ"[5].

فجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، يحكمهم قضاء الله ﷻ وقدره، فلا قدرة لهم على الامتناع منه ساعة نزوله بهم، ولا يختلف الكافر عن المؤمن إلا في أن الكافر قد خالف الله ﷻ في العمل بما أمره به[6]. فإذا خالف المؤمن هواه، واتبع شرع الله ﷻ، فقد أصبح عبدا لله ﷻ اختيارا، مع كونه عبدا لله ﷻ اضطرارا في الخضوع لقضائه وقدره، الذي يشترك فيه معه الكافر.

ب- الآيات الخاصة بالخلافة كمقصد للخَلق، كقوله ﷻ: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[7]، يقابلها أن يقوم الإنسان مقام الشارع الذي استخلفه، بالعمل بأحكامه، وتحقيق مقاصده، ويقيم المصالح التي قصد الشارع المحافظة عليها على قدر استطاعته، وحسب طاقاته وامكاناته[8].

ج- الآيات المتعلقة بعمارة الأرض، كقوله ﷻ: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾[9]، يصلح أن تكون عمارة الأرض، مقصدا للخلق، وفي الوقت نفسه مقصدا شرعيا، ولا تعارض بين المعنيين[10].

---

[1] - النوُّرسي، سعيد (بديع الزمان). الكلمات ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط: دار سوزلر للنشر، ص: ٨٦٣.
[2] - الذاريات: ٥٦
[3] - عطية، جمال الدين. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (١٧)، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ط: دار الفكر – دمشق – سورية، ص: ١٠٩.
[4] - الموافقات، ٢٨٩/٢.
[5] - المصدر السابق، ٢٩٠/٢.
[6] - الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري). ط: دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ٤٤٥/٢٢.
[7] - البقرة: ٣٠
[8] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٠٩.
[9] - هود: ٦١
[10] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١١٠.

كيف نعرف مقصود الشارع

يعتقد المؤمنون أنه ليس لله ﷻ فيما خلق وقدر، ولا فيما حكم وقرر، ولا فيما أمر أو نهى، ولا فيما حلل أو حرم، ولا فيما وضعه من تحديد، أو تقييد، أو شرط، أو ضبط، شيء بلا مقصد، أو حكمة، أو غاية، أو وظيفة، عُرف ذلك أو لم يُعرف[١]. قال ﷻ: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾[٢]، وقال: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾[٣]. وهذا ما يطلق عليه : **الفكر المقاصدي**[٤].

لكن لا يمكننا أن ننسب مقصد من المقاصد إلى الله ﷻ إلا بدليل، لأنه كنسبة قول أو حُكم إلى الله ﷻ؛ لأن الشريعة شريعته، والقصد قصده، والقول بغير إقامة الدليل على ذلك هو قول على الله ﷻ بغير علم، وبغير حق[٥]، قال ﷻ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[٦].

ومن الطرق التي نعرف بها ما إذا كان أحد الأمور هو من المقاصد أم لا، أدلة القرآن الواضحة بحسب الاستعمال العربي، بحيث لا يُشك في المراد منها. فمثلا يمكننا الجزم بأن معنى قوله ﷻ: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾[٧] أن الله ﷻ أوجبه. ومثل ذلك في قوله ﷻ: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾[٨] ، ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[٩] ، ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[١٠] ، وهكذا.

التعرف على مقاصد وعد الله ﷻ

إعمال الفكر المقاصدي في موضوع الوعد الإلهي، يقودنا إلى القول إن هذا الوعد له مقصد أو مقاصد. فمن المحال أن يطلق الله ﷻ هذا الوعد إلا لحِكَم وغايات وأهداف يريدها. فلم يبق لنا إذن إلا أن نستخلص هذه المقاصد، بما يؤيد ما نقول، بلا تعسف. ومن البديهي أن نقول إن هذه المقاصد من مقاصد الخلق والتكوين أو المقاصد القَدرية، أي ليست من مقاصد التشريع، فالمقام ليس مقام تشريع.

---

[١] - الريسوني: أحمد، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، ط: جريدة الزمان، سلسلة: كتاب الجيب، ديسمبر ١٩٩٩م، ص: ٣٩:٤١.
[٢] - الفرقان: ٢
[٣] - الدخان: ٣٨
[٤] - الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، ص: ٤٢.
[٥] - المرجع السابق، ص: ٥٩.
[٦] - الأعراف: ٣٣
[٧] - البقرة: ١٨٣
[٨] - البقرة: ٢٠٥
[٩] - البقرة: ١٨٥
[١٠] - الحج: ٧٨

فإذا ما نظرنا إلى قوله ﷻ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[1]، نجد أن الله ﷻ قد أكد مشيئته في هذه الآية: باستخلاف المؤمنين الذين يعملون الصالحات، من أمة النبي ﷺ، وتمكين الدين لهم، وإبدالهم من بعد خوفهم أمنا، بوعد يساوي في قوته القسم؛ دل على هذا دخول اللام في جواب القسم المفهوم من الوعد، وذلك في الوعود الثلاثة: (الاستخلاف وتمكين الدين والأمن) إضافة إلى وجود نون التوكيد الثقيلة في الوعود الثلاثة، مما يؤكد انتظار وقوع ذلك بقدر وقدرة الله ﷻ، إن تحقق الإيمان والعمل الصالح، والعبادة بلا شرك، وانتفت الموانع[2].

والمشيئة الإلهية هنا تعني أن هذه الأمور الثلاثة ليست مجرد أهداف ممكنة، بل هي غايات مقصودة بالجزم من الله ﷻ، فما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن. إذن هذه الأمور الثلاثة ليست مقاصد للوعد نحن نستنتجها، فقد أفصح الله ﷻ عنها بصراحة بهذا الوعد. فالوعد هنا هو لسان المشيئة، وهذه المقاصد الثلاثة هي ثمرتها.

وهذا الوعد يشبه قوله ﷻ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ * وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾[5].

وعد الله ﷻ بين مقاصد الخلق ومقاصد الشرع

مقاصد وعد الله ﷻ بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن، من مقاصد الخَلق التكونية والقدرية، المختصة بالأمة الإسلامية. وهي في الوقت الذي تمثل فيه انعكاس لمقاصد وجود الإنسان في هذه الأرض، نجد أنها تتشابه أيضا مع مقاصد الشريعة فيما يخص الأمة الإسلامية، ونبين ذلك فيما يلي:

[1] - النور: ٥٥
[2] - موقع: مصحف سورة، التفسير الموضوعي/السنن الإلهية/التمكين مشيئة إلهية. (بتصرف)
[3] - القصص: ٥،٦
[4] - الروم: ٤٧
[5] - الأنبياء: ١٠٥-١٠٧.

أولا – مقاصد وجود الإنسان في هذه الأرض:

مقاصد وجود الإنسان في هذه الأرض، كمقاصد خَلق تكوينية، بينتها آيات القرآن الكريم:

١– الخلافة في الأرض، المذكورة في قوله ﷻ: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[١].

أي خلافة الإنسان عن الله ﷻ في الأرض ليقوم بتنفيذ مراده في إقامة الحياة على الأرض[٢].

٢– عبادة الله ﷻ المذكورة في قوله ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[٣]. وهي عبادة كاملة شاملة بالمفهوم العام، الذي تصير به كل حركة الإنسان المادية والمعنوية عبادة لله ﷻ [٤].

٣– عمارة الأرض المذكورة في مثل قوله ﷻ: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾[٥]. (أي إقامة الحضارة الإنسانية، المبنية على فكرة عقيدة التوحيد)[٦].

و"هذه الثلاثة متداخلة ومتلازمة:

أ– فلا خلافة بغير عبادة وعمارة.

ب– والعبادة بمعناها الواسع تشمل الخلافة والعمارة.

ج– والعمارة (عند أدائها بقصد ونية) جزء من العبادة وقيام بحق الخلافة"[٧].

فالخلافة في الأرض حركة إيجابية، فاعلة، دائبة، مستمرة، تتناغم مع السنن الإلهية الكونية والمجتمعية، حيث ترتقي من خلالها حياة الإنسان الروحية والخلقية، ويسعى لتسخير الكون الفسيح من حوله والانتفاع به، وتوجيه عناصره لخدمته، حتى يقيم حضارة إنسانية متكاملة في ظل منهج العبودية لله ﷻ[٨]، حيث تصبح الحضارة بما تمثله من رقي في حركة الإنسان لتعمير الأرض، نوعا من العبودية لله ﷻ[٩].

---

[١] - البقرة: ٣٠

[٢] - النجار، عبد المجيد. الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي. بحث منشور في دورية التجديد، السنة الأولى، العدد الأول، ص: ٩٣.

[٣] - الذاريات: ٥٦

[٤] - الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، ص: ٩٣.

[٥] - هود: ٦١

[٦] - الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. الذريعة إلى مكارم الشريعة، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. ط: دار السلام – القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص: ٨٢،٨٣.

[٧] - القرضاوي، يوسف. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. ط: مكتبة وهبة، ص: ١١٠.

[٨] - زرمان، محمد. وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم – دلالاتها وأبعادها الحضارية، بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – جامعة قطر ، العدد السادس عشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص: ٢٠٠.

[٩] - الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، ص: ٩٣.

ثانيا – المقاصد العالية للشريعة:

المقاصد العالية (العامة بتعبير البعض) والتي يأتي من خلالها مقاصد الشريعة بأنواعها المختلفة تتمثل في:

أ- الخلافة عن الله ﷻ.

ب- عبادة الله ﷻ.

ج- عمارة الأرض.

وهذه الأمور تتحقق من خلال الإيمان وما يقتضيه من عمل صالح يحقق السعادة في الدارين، والذي يشمل النواحي المادية والروحية، والذي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، ويجمع بين المصالح المختلفة: القومية والإنسانية، ومصلحة الجيل الحاضر والأجيال المستقبلة، فيما يخص الإنسان، والأسرة، والأمة، والإنسانية[١].

ثالثا– من أهم مقاصد الشريعة الخاصة بالأمة :

أ- تدعيم معنى الخلافة الخاصة بالأمة الإسلامية (في إطار الخلافة العامة للجنس البشري).

ب- حفظ الدين والأخلاق.

ج- حفظ الأمن الشامل، ويشمل حفظ الأمن الداخلي والأمن الخارجي[٢].

رابعا– مقاصد الوعد الإلهي في سورة النور:

أ- الاستخلاف في الأرض، بإقامة الدولة التي يحكمها شرع الله ﷻ (الخلافة الإسلامية).

ب- تمكين دين الإسلام، ليهيمن على كل ما ومن في هذه الدولة.

ج- يبدِّلنهم من بعد خوفهم أمنا، ليقوموا بإعمار الأرض وإقامة الحضارة الشاهدة على الأمم.

من هنا يظهر لنا كيف أن مقاصد الوعد الإلهي – وهي خاصة بالأمة – متناغمة مع مقاصد وجود الإنسان في الأرض، كتخصيص لها، ومقاصد الشريعة العالية، ومقاصد الشريعة الخاصة بالأمة.

---

[١] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٢٢.

[٢] - المرجع السابق، ص: ١٥٦،١٥٧،١٥٩.

أهمية العلم بمقاصد وعد الله ﷻ في سورة النور

ترجع أهمية العلم بمقاصد وعد الله ﷻ في سورة النور، إلى عدة أمور، منها:

١- الوَعْد بشارة بخير لم يَأْتِ زمنُه بعد، حتى يستعد الناس بالوسيلة له[١].

٢- العلم بالمقاصد يفيد في الفهم الصحيح أولا، ثم في التطبيق العملي الرشيد لتحقيق الهدف المقصود[٢].

٣- كل مختص في علم من العلوم، وكل مباشر لعمل من الأعمال، يجب أن تكون آراؤه في اختصاصه وتطبيقاته في أعماله جارية وفق فهم المقاصد[٣].

٤- العلم بالمقاصد يولد همة ونشاطا، وسرعة في الامتثال للأمر، والصبر على المشقة، والمداومة على العمل والاستقامة فيه[٤].

٥- العلم بالمقاصد يفتح آفاقا في الدعوة ويعين على إظهار محاسن الدين، وتفنيد الشبهات والافتراءات التي تفترى عليه، ويجعل المسلم في موقع الاعتزاز والفخر والثقة بالدين[٥].

الخلاصة

مقاصد الخلق التكوينية القدرية، غير مقاصد الشريعة، وهي التي تُعَرِّف الإنسان بدوره ورسالته في هذا الوجود، حتى يسير وفق ما يرضي الخالق ﷻ. أما المقاصد الشرعية، هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني، التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان. **و**يجب على المسلمين أن يستحضروا في تلقيهم وتعاملهم مع كل ما صدر عن الله ﷻ، أن له مقصد وغاية، وهو ما يطلق عليه : الفكر المقاصدي. لكن لا يمكننا أن ننسب مقصد من المقاصد إلى الله ﷻ إلا بدليل. وما وعد الله ﷻ عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، من الاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن من بعد الخوف، مقاصد كونية، بلورها هذا الوعد، تتناغم مع المقاصد الكونية من وجود الإنسان في الأرض، والمقاصد العالية (العامة) للشريعة، ومقاصد الشريعة الخاصة بالأمة.

---

[١] - تفسير الشعراوي، ١٧/ ١٠٣١٨.

[٢] - النجار: عبد المجيد، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط: دار الغرب الإسلامي, ٢٠٠٨ م، ص: ١٨،١٩.

[٣] - المرجع السابق، ص: ٢١.

[٤] - عبد القادر، معن. ثمرات العلم بمقاصد الشريعة، مقال منشور على موقع مجلة رواء، العدد الخامس، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٠. https://rawaamagazine.com/ثمرات-العلم-بمقاصد-الشريعة/

[٥] - المرجع السابق.

١- مقصد استخلاف الأمة الإسلامية

الاستخلاف والخلافة الإسلامية

قوله ﷻ: ﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ ﴾ أي ليجعلنهم خلفاء الأرض، أي الحكام، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم. أو خلفاء من الذين كانوا يخافونهم من الكفرة، بأن ينصرهم عليهم ويورثهم أرضهم[١]. وهذا الاستخلاف الموعود أكبر وأعظم من مجرد سلطة وسيطرة دنيوية، لأنها قد تُعطَى للكافر، قال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُوما مَّدۡحُورا﴾[٢].

واستخلاف الأمة الإسلامية استخلاف خاص، يسير في نفس خط الاستخلاف العام لبني آدم في الأرض ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ﴾[٣]، وفي الوقت نفسه استمرار لاستخلاف الأمم ما كانت أهلا للاستخلاف، واستخلاف الأفراد ما كانوا أهلا لذلك، يبتليهم الله ﷻ جميعا فيما آتاهم[٤]. وهذا الاستخلاف ليس مستحدث، فقد استخلف الله ﷻ في أرضه: ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾، أي بني إسرائيل والأمم غيرها [٥].

واستخلاف الأمة الإسلامية المعنى الأول له أن تنصلح المجتمعات الإسلامية، حتى تحرر الأقطار الإسلامية، وأن تستقل بحكم نفسها بشريعة الله ﷻ الكاملة الشاملة، وأن يكون لها من القوة والسلطان ما يحميها ويحمي مصالحها، وَيُعْلِي كلمتها. أما المعنى الثاني فهو أن تتحد هذه الأقطار لتقيم دولة الخلافة الإسلامية التي يتسع سلطانها حتى يشمل أبناء الأمة الإسلامية، وأممًا وشعوبًا أخرى[٦]. والمعنى الثالث أن تسترد الأمة الإسلامية خيريتها، وتحقق وسطيتها، وتقيم حضارتها الحديثة القائمة على التوحيد، لتكون شاهدة على غيرها من الأمم.

---

[١] - الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٣٩٣/٩.

[٢] ـ الإسراء: ١٨

[٣] - البقرة: ٣٠

[٤] - عودة، عبد القادر. الإسلام وأوضاعنا السياسية، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص: ٢٠.

[٥] - الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ)، فتح القدير، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق – بيروت، ١٤١٤ هـ، ٤/ ٥٥.

[٦] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ١٩.

وقد يُسمى الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية الجامعة للأقطار الإسلامية، بالخليفة، أو أمير المؤمنين، أو الإمام الأعظم[1]. فقد سُمي أبو بكر ﵁ (خليفة)، ثم سُمي عمر بن الخطاب ﵁، والخلفاء من بعده : (أمير المؤمنين) [2]. لكن لا يعني إطلاق أحد هذه الأسماء في السابق، إنه يجب أن تطلق في عصرنا الحاضر حتى يصير هذا المنصب إسلاميا. لكن المهم أن يخضع المسلمون ورئيسهم للقوانين الإسلامية، حتى يوصف هذا النظام بأنه نظام إسلامي، ولا يهم بعد ذلك ما الذي يمكن أن يطلق على هذا الرئيس[3].

ميدان الاستخلاف

حرف الظرفية ﴿ **فِي** ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾[4] يوحي باستقرار الاستخلاف، وتمكنه وشموله معظم الأرض؛ ولذا قيده بقوله ﷻ: ﴿ **فِي الأَرْضِ** ﴾. ووصف الاستخلاف بقوله ﷻ: ﴿ **كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾؛ لتأكيد الوعد، وللإشعار بتحقق وقوعه، حيث كان له نظير من قبل في الأمم السابقة. ودلت (مِن) في قوله ﷻ: ﴿ **مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ على أن تحقق وعد الله ﷻ موغل في القِدَم، فقد تحقق للأمم التي سبقت أمة الإسلام. وقدّم الاستخلاف في الأرض وهو أدنى مرتبة، على تمكين الدين، وهو من أعظم الغايات، وأشرف الرغائب، لأنه أكثر استمالة للنفوس، وأشد ترغيبا لها، لميل نفوس البشر إلى العاجل من الحظوظ[5].

وقُيد الاستخلاف بـ ﴿ **الأَرْضِ** ﴾ للإشارة إلى حصول الاستخلاف في معظم الأرض. حيث يقبل الامتداد والانحسار، كما حصل يوم خروج بلاد الأندلس من تحت حكم الإسلام. ولكن حرمة الأمة واتقاء بأسها ينتشر في المعمورة كلها بحيث يخافهم من عداهم من الأمم في الأرض التي لم تدخل تحت حكمهم ويسعون الجهد في مرضاتهم ومسالمتهم. وهذا استخلاف كامل، ولذلك شُبه باستخلاف الذين من قبلهم، يعني الأمم

---

[1] - رضا: محمد رشيد، الخلافة، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ص: ١٤.
[2] - السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، ت: حمدي الدمرداش، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص: ١١١. (ش)
[3]- عثمان: محمد رأفت، رياسة الدولة في الفقه الإسلامي، ط: دار الكتاب الجامعي، ١٩٧٥م، ص: ٤٨.
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[5] - من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال).

التي حكمت معظم العالم وأخافت جميعه مثل: الأشوريين، والمصريين، والفينيقيين، واليهود زمن النبي سليمان عليه السلام، والفرس، واليونان، والرومان[1].

الخلافة الراشدة الثانية

هذا الاستخلاف للأمة يتجسد في عصرنا الحديث في إقامة خلافة على منهاج النبوة، استرشادا ببشرى النبي ﷺ: فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَال كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فقال يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ :أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ :قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ)**" ثُمَّ سَكَتَ[2].

فلقد انتهى دور من أدوار الخلافة بسقوط الدولة العثمانية، ومن واجب المسلمين – كفرض كفائي– العمل لبدء دور جديد لها. وحقيقة الخلافة أنها قيادة عامة للأمة الإسلامية، تمثل وحدتها، وتحفظ كيانها، وتذب عنها الأخطار، وتحقق مصالحها المشتركة، وتنفذ مبادئ الإسلام. فهي تقوم على أساس الإسلام، وتنفذ شريعته، وتحفظ أوطان الإسلام، وتدافع عن أهله، وتعمل لنشر رسالته في العالم.

الخلاصة

أول مقاصد وعد الله ﷻ هو استخلاف الأمة الإسلامية، الذي يمثله في العصر الحديث، إقامة الخلافة الراشدة الثانية، التي بشر بها النبي ﷺ. وبسقوط الخلافة العثمانية، أوائل القرن العشرين، يتعين على المسلمين العمل الجاد –كفرض كفائي – لإقامة دولة الخلافة الإسلامية الراشدة الثانية، التي حان وقت بزوغ نورها بعد مرحلة المُلك الجبري.

---

[1] - ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير. ط: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ٢٨٦/١٨.

[2] – سبق تخريجه

لماذا اختصَت سورة النور بالوعد الإلهي

اختصاص سورة النور بذكر الوعد بالاستخلاف والتمكين والأمن بهذا التصريح والوضوح، يرجع إلى طبيعة السورة وموضوعاتها، وإلى أهمية الربط بين صلاح المجتمع واستقامته وبين تحقيق وعد الله ﷻ للمؤمنين. فهذا الوعد يمثل ذروة سنام السورة، والسورة تمثل السنام وسائر البدن والقوائم. وسبب انفراد سورة النور بهذا الوعد، يرجع إلى أن للسورة طبيعة خاصة، فهي سورة بناء المجتمع المسلم المستحق لهذا الوعد، سورة بناء الأمة المسلمة على الشروط والمواصفات التي يتطلبها تحقيق الوعد لها.

لذلك فإن سورة النور إلى جانب إنها تتناول مواضيع اجتماعية وأخلاقية وتشريعية، فهي أيضا تحتوي على آيات توفر مبادئ يمكن استلهامها لفهم طبيعة الدولة في الإسلام. وهي وإن كانت ليست دليلاً مباشراً على هيكل الدولة الحديث، إلا إنها تحتوي على عناصر تفيد في بناء مجتمع عادل يعتمد على الشريعة الإسلامية، وتتضمن أحكاماً وتوجيهات تشير إلى مقومات الدولة وسلطاتها وأنظمتها، وإن لم تُذكر بالمصطلحات الحديثة بشكل مباشر.

أولا ـ مقومات الدولة الإسلامية في سورة النور

يمكن على سبيل المثال استنباط مقومات الدولة الأساسية التي تقوم على أساس الدين والأخلاق من السورة:

أ- الإيمان والعمل الصالح: هما أساس صلاح الأفراد وسبب للوعد بالاستخلاف والتمكين، وهما المقوم الروحي والأخلاقي للدولة. قال ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾.

ب- القيادة (الخليفة): إشارة إلى وجود سلطة حاكمة تدير شؤون البلاد والعباد، وتقيم الشرع، قال ﷻ: ﴿ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾.

ج- سلطان الشريعة الإسلامية على المجتمع ﴿**وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ** ﴾.

ء- الأمن والاستقرار : ويُعد من أهم أهداف ومقومات الدولة الإسلامية، قال ﷻ: ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**..﴾ .

ثانيا – السلطات في الدولة الإسلامية في سورة النور

سورة النور تبرز جوانب التشريع الإلهي، والقضاء العادل، والتنفيذ للأحكام، حيث الله ﷻ هو المشرع الأعلى، والرسول ﷺ (والخليفة بعده) ينفذ ويقضي:

١- السلطة التشريعية

بينت سورة النور ما يلي:

أ- السورة تعلن منذ أول أية أن مصدر التشريع الأعلى هو الوحي، فالتشريع لله ﷻ وحده، ووظيفة المؤمنين هي تنفيذ ما فرضه الله ﷻ، كتشريع إلهي ملزم، قال ﷻ: ﴿ **سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا، وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[١]. والبيان النبوي ليس سلطة مستقلة عن التشريع الإلهي.

ب- السورة تؤكد على أن التشريع في الدولة الإسلامية يقوم على نور الهداية الربانية، لا على أهواء الأكثرية ولا على إرادة الحاكم، بل على مرجعية الوحي التي تنير مسار الأمة: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[٢] .

ج- كما ورد في السورة التحذير من مخالفة أمر النبي ﷺ لأنه جزء من التشريع الإلهي: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾[٣].

ومن الناحية المقاصدية: السورة تؤكد على أن المرجعية في الإسلام للقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

٢- السلطة القضائية

أكد الإسلام من أول يوم على مبدأ المساواة بين جميع الناس في أكمل الصور وأمثل الأوضاع، كما أكد على العدل كدعامة أساسية لكل نظمه وتشريعاته. وكل ما قرره أو أكد عليه الإسلام قد طُبق في كل ما تقتضيه العدالة الإنسانية، وكرامة الإنسان الفرد، فلا فرق بين الحاكم والمحكوم ولا فرق بين الأمير والحقير، ولا بين مسلم وغيره[٤].

---

[١] - النور: ١

[٢] - النور: ٣٥

[٣] - النور: ٦٣

[٤] - واصل، نصر فريد محمد. السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام. ط: المكتبة التوفيقية، ص: ٣٧.

وقد بين النبي محمد ﷺ للناس الدستور الواجب الاتباع في القضاء والتقاضي؛ فقد أوضح ما الذي يجب أن يسلكه القاضي في قضائه، والذي يجب عليه التزامه أثناء نظر الدعوى، وفي أحكامه. وكان ذلك كله واضحا في المنهج النبوي العملي، الواجب الاقتداء. فقضاء الرسول ﷺ ما هو إلا تشريع يجب اتباعه، سواء كان عملا بنص موحى به إليه، أو كان اجتهادا منه أقره الوحي عليه، والذي يعتبر بمنزلة الوحي، وهذا الذي استقر عليه رأي جمهور العلماء والفقهاء، أخذا من قوله ﷻ: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** ﴾. لأن الوحي لا يُقره على خطأ[1].

وسورة النور قد بينت بعض قواعد الإثبات، والاتهام، والعقوبة. فالسورة توضح إجراءات قضائية مثل الشهادة، والشهود، والعقوبات:

أ- عقوبة زنا غير المحصن: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ**﴾[2].

ب- نظام قضائي يعتمد على الشهود (٤ شهود للزنا)، عدم قبول شهادة الكاذبين، وإجراءات عادلة للدفاع: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[3]، ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً** ﴾[4]، ﴿ **لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ** ﴾[5] ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾[6].

ج- إجراء اللعان في الاتهام بين الزوجين، مع أقسام بالله ﷻ كدليل قضائي.

ء- فض النزاعات والخصومات والقضاء في الأقضية المختلفة: ﴿ **وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ** ﴾[7] ، ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ**﴾[8].

---

[1] - النجم: ٣
[2] - النور: ٢
[3] - النور: ٤
[4] - النور: ٤
[5] - النور: ١٣
[6] - النور: ٢٣
[7] - النور: ٤٨
[8] - النور: ٥١

من الناحية القضائية: هذه الآيات فيها أصل من أهم أصول القضاء الإسلامي وهو "لا إدانة بلا إثبات"، وتختلف وسيلة الإثبات من ظرف لآخر، فمثلا الإثبات في جريمة الزنا بالأربعة شهداء، وفي اتهام الزوجة بالزنا يكون الإثبات بدون الأربعة شهداء، لكن مع إجراء الملاعنة بين الزوج والزوجة المتهمة.

والسلطة القضائية كما بينتها السورة هي السلطة التي تقيم العدل، وتحفظ الأمن الاجتماعي، والكرامة الإنسانية، وتقف حاجزًا أمام الظلم والبهتان والاعتداء على الحقوق، وتصون المجتمع من الفوضى.

ومن ناحية المقاصد: العدل هو الركيزة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي الراشد، الذي يسعى المسلمون لتحقيقه.

٣- السلطة السياسية أو التنفيذية

السلطة التنفيذية في السورة تظهر في وجوب طاعة القائد (الحاكم ومن تحته من المسؤولين) لتنفيذ الأحكام، وكذلك في الأمر بالإقامة الفعلية للحدود:

١- طاعة أولي الأمر/الرسول:

أ- ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[١]، وهي دليل على وجوب طاعة الإمام (ولي الأمر) فيما أمر به من تنفيذ الشرع.

ب- ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾[٢].

من الناحية السياسية: الأمر الجامع هو كل شأنٍ عامٍ يجتمع عليه المسلمون، ويدخل فيه الشأن السياسي والإداري للأمة.

من ناحية المقاصد: الآية تُقرّ مبدأ الطاعة والانضباط في العمل الجماعي بقيادة الرسول ﷺ، ثم من بعده القيادة الشرعية القائمة مقامه في الأمة.

ج- ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...**﴾[٣]. الناحية السياسية في الآية: السلطة التنفيذية تستمد شرعيتها من الإيمان والعمل الصالح والعدل.

---

[١] - النور: ٥٦
[٢] - النور: ٦٢
[٣] - النور: ٥٥

٢- التنفيذ:

أ- جلد الزناة، ﴿ **فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[١] ، وإجراءات اللعان بين الزوجين، وما يترتب عليها من أحكام، يتطلب سلطة تنفيذية لإنفاذ الحكم.

ب- ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ** ﴾[٢]. الناحية السياسية في الآية: السلطة التنفيذية هي سلطة تنفيذ وإدارة وتنظيم، تتحرك ضمن ضوابط الشرع.

الناحية المقاصدية في الآيتين: الطاعة في الدولة الإسلامية مقيدة بالحق، كما إن القيادة السياسية فيها مسؤولة أمام الله ﷻ ، ووحدة الأمة من شروط تحقيق الاستخلاف والأمن.

الخلاصة

سورة النور ليست فقط سورة ملامح المجتمع المسلم، بل قد جمعت بترتيب بديع بين قيام السلطات الثلاث بوظائفها في طاعة الله ﷻ وعبادته؛ بالارتكاز على المرجعية التشريعية للقرآن الكريم والسنة المطهرة، وعدل القضاء، والعمل على استتباب النظام الإسلامي في المجتمع.

ثالثا- بعض النظم في الدولة الإسلامية من واقع سورة النور

وردت في سورة النور إشارات إلى أسس بعض الأنظمة المختلفة داخل الدولة الإسلامية، مثل النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ فكل شيء في الدولة الإسلامية يرتبط بالعقيدة وبالشريعة. وهذه المبادئ من سورة النور توفر إطاراً إسلامياً للدولة، مع التركيز على العدل والأخلاق كأساس لكل السلطات والأنظمة. وفيما يلي بعض ما ورد في سورة النور من إشارات إلى الأنظمة المختلفة في الدولة الإسلامية.

١- النظام السياسي

النظام السياسي الإسلامي قائم على الخلافة والطاعة والعدل والشورى:

أ- آية الاستخلاف (الآية ٥٥ سورة النور) تفيد إقامة نظام سياسي إسلامي يمنح السلطة للمؤمنين الصالحين، مع تمكين الدين وتوفير الأمن. بشرط أساسي بإقامة العبادة وعدم الشرك.

---

[١] - النور: ٢

[٢] - النور: ٦٣

ب- الآيات (٤٧-٥٤) من السورة نفسها تنتقد النفاق (إظهار الإيمان وإبطان الكفر)، وتؤكد الطاعة للحاكم (الرسول كمثال)، مما يشكل أساساً للحكم العادل: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

ج- الشورى من أهم مبادئ النظام السياسي الإسلامي، وقد أشارت إليه السورة الكريمة في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ...﴾[1] فالأمر الجامع يتطلب الشورى والانضباط في العمل الجماعي السياسي. كما تبين أنه بالنسبة لخلفاء الرسول ﷺ فإن الطاعة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح.

٢- النظام القضائي

لا ينظر القاضي منازعات الناس وخصوماتهم إلا إذا رفعوا إليه دعوى طالبين الفصل فيها، ومن ثم يكون نظر القاضي وفق قواعد وضوابط معينة تسمى أصول استماع الدعوى.

وفي سبب نزول آيات الملاعنة أن النبي ﷺ قد رُفعت إليه شكوى من هلال بن أمية، يرمي امرأته بالزنا مع شريك بن سحماء. فقضى فيها رسول الله ﷺ بالملاعنة بين هلال وامراته.

والدعوى تثبت عند القاضي بوسائل معينة معتبرة شرعا، تسمى وسائل الإثبات[2]. من هذه الوسائل: شهادة الشهود، وحلف اليمين، والإقرار على النفس، والقرائن[3].

---

[1] - النور: ٦٢

[2] - الكراني، عبد الحميد بن صالح. الدعوى والإثبات في الإسلام. مقال منشور في موقع الملتقى الفقهي، يوم ١٢ إبريل ٢٠٠٨. https://feqhweb.com/vb/threads/٩١٨

[3] - للتفصيل راجع : الزحيلي، محمد مصطفى. وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية. ط: مكتبة دار البيان – دمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

وقد أكدت السورة على وسيلة الشهود، قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ...﴾[1]، ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ... لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[3] فالذين لُعنوا في الدنيا والآخرة، هم الذين يتهمون المحصنات العفيفات بالزنا بلا دليل ولا شهود.

كما تُمنع الشائعات أن تكون دليلا قضائيا ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[4].

فإذا قضى القاضي بالعقوبة، كانت العقوبة حدا من الحدود الشرعية، فيقام الحد في إطار العدالة لا للانتقام.

٣- النظام الاجتماعي

النظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على العقيدة الإسلامية، التي لا تفرق بين المؤمنين بها، مهما كان جنسهم، أو نوعهم، أو لونهم، أو لغتهم، أو إقليمهم، أو حرفتهم، أو غير ذلك[5]: وقد أشارت سورة النور إلى بعض ما يترتب على اتخاذ العقيدة الإسلامية أساسا لنظام المجتمع [6]:

١- الرباط الإيماني بالأخوة في الدين، التي يكون على أساسها زوال العصبية الجاهلية القائمة على نسب القبيلة أو السلالة أو الأسرة، والتي تدفع إلى التناصر بالحق وبالباطل:

أ- حسن الظن بالمؤمنين: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[7]، فالمؤمنون جسد واحد، فقد وصفهم ﷺ بقوله ﷻ: ﴿ بِأَنفُسِهِمْ﴾ فما يمس أحدهم يسمهم جميعا.

ب- المسلم يحمي عِرض أخيه المسلم، فلا يخوض فيما لا يعنيه، أو فيما لم يتأكد منه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[8].

---

[1] - النور: ٤
[2] - النور: ١٣
[3] - النور: ٢٣
[4] - النور: ١٣
[5] - زيدان، عبد الكريم. أصول الدعوة. ط: مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ، ص: ١٠٣،١٠٤.
[6] - المرجع السابق، ص: ١٠٦ وما بعدها.
[7] - النور: ١٢
[8] - النور: ١٦

ج- من أحب السوء لأخيه المسلم، فقد خرج من مقتضيات هذا الرباط الإيماني: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾[1].

ء- إفشاء السلام في المجتمع، بما يقوي الروابط بين أفراده: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ** ﴾[2] ، ﴿ **فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ** ﴾[3].

٢- تقوى الله ﷻ وخشيته هي ميزان التفاضل بين الناس، هذه التقوى والخشية التي أشارت إليها سورة النور في قوله ﷻ : ﴿ **وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةً لِّلۡمُتَّقِينَ** ﴾[4]، وقوله ﷻ : ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ** ﴾[5] .

وبزوال العصبية الجاهلية تزول نتائجها كالتفاخر بالأحساب والأنساب، وتعلو منزلة الفرد وفضله بقدر ما تحمل نفسه من فضائل وأخلاق كريمة، وبقدر ما يقدمه من صالح الأعمال.

خصائص النظام الاجتماعي الإسلامي

أ- مراعاة الأخلاق

فهذا النظام يمتاز بحرصه الشديد على طهارة المجتمع ونظافته من القبائح والرذائل، ومن أمثلة ذلك مما في سورة النور:

١- الزنا مُحَرَّم وله عقوبته لغير المحصن بالجلد مائة جلدة: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[6] .

٢- القذف – الاتهام بالفاحشة- مُحَرَّم وله عقوبته والآثار المترتبة عليه: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ** ﴾[7].

[1] - النور: ١٦
[2] - النور: ٢٧
[3] - النور: ٦١
[4] - النور: ٣٤
[5] - النور: ٣٧
[6] - النور: ٢
[7] - النور: ٤

٣- كما بينت سورة النور أخلاقا من أهم الأخلاق في النظام الاجتماعي الإسلامي، كغض البصر: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾[1] ، ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾[2]. والعفو والصفح: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ ﴾[3].

٤- ومن مظاهر مراعاة الأخلاق في النظام الاجتماعي الإسلامي: التوادد والتراحم والتعاطف بين أفراده، فالتراحم بين المؤمنين من الصفات الأصلية فيهم، وتجعل المجتمع الإسلامي كالأسرة الواحدة، وإن مجتمعا يصل فيه التراحم إلى هذا الحد لمجتمعٌ سعيد حقا. وقد أكدت سورة النور على هذا الأمر بحسن العلاقة بين الأبناء والآباء: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾[4] وبين الإخوة بعضهم البعض: ﴿ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُم﴾[5] ، وبين ذوي الأرحام بعضهم البعض: ﴿ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ﴾[6] ، وبين عموم الناس والأصدقاء والجيران وغيرهم: ﴿ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾[7].

ب- الالتزام بمعاني العدالة

فالالتزام بمعاني العدالة من أنواع الأخلاق الفاضلة، بل في ذروتها. وقد تقدم في الحديث عن السلطة القضائية والنظام القضائي ما يفيد هذا الالتزام.

ج- العناية بالأسرة

الأسرة هي أساس كيان المجتمع ولبنته الأولى، ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع. وقد اعتنى النظام الاجتماعي الإسلامي بالأسرة عناية كبيرة. ومن ذلك:

١- تشريع الزواج كسبيل وحيد لتكوين الأسرة وبقاء الجنس البشري، وتحريم ما عداه من علاقات أولها الزنا: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾[8]. ولخصوصية الأسرة شرع الإسلام اللِّعَان بين الزوجين، في حالة اتهام الزوج زوجته بالزنا، ولم يكن له شهود، حفظا لطهارة الأسرة والمجتمع.

---

[1] - النور: ٣٠
[2] - النور: ٣١
[3] - النور: ٢٢
[4] - النور: ٦١
[5] - النور: ٦١
[6] - النور: ٦١
[7] - النور: ٦١
[8] - النور: ٢

٢- تحريم الزواج من الزناة، حفظا لمؤسسة الأسرة: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١].

٣- الاستئذان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ ﴾[٢].

٤- الاهتمام بتعويد الأطفال على التكاليف قبل البلوغ، ومراعاة القيام بتلك التكاليف بعده: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[٣].

ء- تحديد مركز المرأة في المجتمع

المرأة في النظام الاجتماعي الإسلامي لها مركز محدد تحديدا دقيقا واضحا صريحا مفصلا، حتى لا تدخل الأهواء في هذه المسألة الخطيرة، حتى يبقى المجتمع على صلاحه واستقامته ويسعد أفراده.

٤- النظام الاقتصادي

يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام على أساس العقيدة الإسلامية ويتفرَّع منها، وهو يراعي الفطرة الإنسانية ومعاني الأخلاق الفاضلة، ويؤكد على ضرورة سدِّ حاجات الأفراد اللازمة للعيش[٤]:

أ- يشجع على الزواج والإنفاق الأخلاقي، ويمنع الاستغلال: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾[٥]، ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾[٦]، ﴿ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾[٧]. فالآيات تدعو إلى مساعدة الفقراء والمهاجرين، وتشجيع الزواج رغم الفقر (مع وعد بالغنى من الله ﷻ) ، ومنع الاستغلال الاقتصادي مثل إجبار العبيد على البغاء للربح.

ب- يدعو إلى التكافل والإحسان والتعاون: فالزكاة من أسس النظام الاقتصادي في الإسلام: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٨] ، وهناك حقوق أخرى غير الزكاة: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

---
[١] - النور: ٣
[٢] - النور: ٥٨
[٣] - النور: ٥٩
[٤] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٩.
[٥] - النور: ٢٢
[٦] - النور: ٣٢
[٧] - النور: ٣٣
[٨] - النور: ٥٦

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾[1]، ومكاتبة الرقيق: تشجيعا على التحرير الاقتصادي للعبيد: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾[2].

ومن معاني العقيدة الإسلامية ولوازمها التي لها علاقة في موضوع النظام الاقتصادي، وبينتها سورة النور:

١- الملك لله ﷻ وحده: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

٢- المال مال الله ﷻ والإنسان مستخلف فيه: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[4].

٣- الكون مسخر لنفع الإنسان: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ * يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ * وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5].

٤- استعمال المال في مرضاة الله ﷻ: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[6]، تشير الآية إلى أن المال الذي من حلال هو أداة لنفع الغير، وهذا يعتبر جهادا اجتماعيا يحقق مقصدا شرعيا من مقاصد الشريعة، ألا وهو تحقيق الكرامة الإنسانية.

٥- النظام الإعلامي

الإعلام لغة: نقل المعلومات إلى الآخرين عن طريق الكلمة أو غيرها بسرعة. أما في الاصطلاح فيحمل معنى تزويد الناس والرأي العام بالأخبار الصادقة الصحيحة والحقائق الثابتة، عن طريق النقل الحر والموضوعي للأخبار الصحيحة والحقائق الصادقة[7].

[1] - النور: ٢٢
[2] - النور: ٣٣
[3] - النور: ٤٢
[4] - النور: ٣٣
[5] - النور: ٤٣-٤٦
[6] - النور: ٣٣
[7] - أحمد، حنان علي. الإعلام الإسلامي (مفهومه وخصائصه)، منشور في Route Educational and Social Science Journal 5(21):928-956 ، يناير ٢٠١٨، ص: ٤،٣.

وقد أشارت سورة النور إلى ضرورة العمل على نشر الخير، وضبط الخطاب ومنع الشائعات في المجتمع. فذكرت الآيات أن اختراع الأخبار ونشر الشائعات المغرضة الكاذبة التي تقوض الأمن المجتمعي وتنشر البلبلة والتوجس في المجتمع المسلم، أمر محرم ولا يجوز أن يتناوله المسلم، وتوعدت بالعذاب العظيم لمرتكبيه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[1]، ووجهت الآيات إلى الطريقة التي يجب أن يتلقى بها الناس مثل هذه الأكاذيب والافتراءات والإشاعات المغرضة التي تشوه وتبشع الحقائق: ﴿ **لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾[2]، ووجهتهم إلى عدم الوثوق بأي خبر إلا الأخبار الحقيقية الصحيحة التي عليها البرهان وقائدها الدليل الصحيح المناسب لها، وعدم تصديق كل ما يقال حتى يتم التأكد من صحته، ومعرفة الطريقة السليمة للتعامل معه: ﴿ **لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ** ﴾[3]، وأن أي أخبار أو أقوال يتم تداولها في المجتمع يجب أن تمر أولا عبر العقول السليمة، ولا يتم تداولها قبل التأكد منها، لإن ذلك من الأمور العظيمة عند الله ﷻ التي يعاقب عليها العقاب العظيم: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ**﴾[4]، كما إن الثقة في المؤمنين يجب أن تكون هي الأصل في تلقي أي أخبار، وعدم الظن السوء بالمؤمنين: ﴿ **وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ** ﴾[5].

المعنى والمقصد: إقامة نظام إعلامي أخلاقي يحمي الأعراض والحقائق، ويقود الرأي العام نحو الخير، عن طريق:

أ- تحريم نشر الأخبار قبل التثبت.

ب- تربية الوعي الإعلامي، وإنشاء رأي عام واعي، في المجتمع المؤمن.

ج- ضرورة التمييز بين الأخبار والمعلومات المُصلِحة وبين الأخبار والمعلومات المُفسِدة.

---

[1] - النور: ١١
[2] - النور: ١٢
[3] - النور: ١٣
[4] - النور: ١٤،١٥
[5] - النور: ١٦

الخلاصة

الدولة الإسلامية تستمد أنظمتها من الإسلام، وسورة النور بمناسبة أنه قد ذكر فيها الوعد بالاستخلاف، الذي يعني الحكم الإسلامي، قد أشارت إلى ما يفيد أنظمة الدولة التي يجب أن تقيمها على الإسلام، كالنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، والنظام القضائي، والنظام الإعلامي، المستمدة كلها من نور المنهج الرباني.

٢- مقصد تمكين الدين

معنى تمكين الدين

قال ﷻ: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارتضى لَهُمْ ﴾ فقد أعطاهم فوق "الاستخلاف: (تمكين الدين) ، أي تمكينه في القلوب، وتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها[١]، فلا يصدر أي أمر في الحياة إلا في ضوء الدين وعلى هَدْيه. أي أن تمكين الدين يعني قيام الدين بتنظيم وصيانة حركة الحياة في المجتمع المسلم[٢].

قال الآلوسي: " والمعنى: ليجعلن دينهم ثابتا مقررا؛ بأن يعلي سبحانه شأنه، ويقوي بتأييده تعالى أركانه، ويُعظِّم أهله في نفوس أعدائهم الذين يستغرقون النهار والليل في التدبير لإطفاء أنواره، ويستنهضون الرَّجُلَ والخيل للتوصل إلى إعفاء آثاره، فيكونون بحيث ييأسون من التجمع لتفريقهم عنه ليذهب من البين، ولا تكاد تحدثهم أنفسهم بالحيلولة بينهم وبينه ليعود أثرا بعد عين" [٣]. فإذا تحقق وعد الله ﷻ بتمكين الدين، يئس الكفار من القضاء عليه، أو إبعاد أهله عنه.

وإضافة الدين إليهم في قوله ﷻ: ﴿ دِينَهُمُ ﴾، ثم وصفه بارتضائه لهم: ﴿ الذي ارتضى لَهُم ﴾؛ لتشريفهم بالانتساب إلى دين الله ﷻ، وفي هذا أيضا استنفار لحميتهم من أجل بذل كل غال ونفيس في سبيل حماية هذا الدين، والذب عن حياضه، ورفع لوائه[٤]. وقوله ﷻ: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارتضى لَهُمْ ﴾ فيه إشارة إلى أن الموصوفين بهذه الصلة هم الذين ينشرون هذا الدين في الأمم؛ لأنه دينهم؛ فيكون تمكنه في الناس بواسطتهم[٥].

تمكين الدين كمقصد للوعد الإلهي

أولا- الدين منهج الاستخلاف

عندما خلق الله ﷻ الإنسان وكرمه، وفضله على سائر المخلوقات، وكلفه بوظيفة الاستخلاف في الأرض، دعمه بالوحي منذ خلقه. فكان آدم عليه السلام هو أول رسول إلى بنيه، وتوالت من بعده الأنبياء والرسل، يحملون

---

[١] - قطب، سيد. في ظلال القرآن. ط: دار الشروق، ٢٥٢٩/٤.
[٢] - تفسير الشعراوي، ١٠٣٢٤/١٧.
[٣] - روح المعاني، ٣٩٤/٩.
[٤] - من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال)
[٥] - التحرير والتنوير، ٢٨٧/١٨.

إلى الناس المنهج الإلهي. ثم ختم الله ﷻ بالإسلام ما سبقه من هدايات، ونسخت شريعته كل ما سبقها من الشرائع، في وقت بلغت فيه البشرية آخر مراحل تطورها الفكري والاجتماعي.

وكلما كانت عملية الاستخلاف وَفِيّه لهذا المنهج، ملتزمة بما جاء به من تعاليم، منضبطة بما جاء به من مبادئ، كلما بانت آثاره، وأثمر على كافة المستويات، فيحقق الإنسان الاستخلاف في الأرض في أتم صورة – كما رسمها الله ﷻ له[1].

ثانيا– حفظ الدين أهم مقاصد الشرع

حفظ الدين أول مقاصد الشريعة وأرقاها. ومعنى حفظ الدين: تثبيت أركانه وأحكامه الشرعية، في حياة الناس والحياة الكونية، وحمايته من كل ما يخالفه ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر، والرذيلة والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف[2].

ثالثا– وظيفة دين الإسلام في حياة الفرد والمجتمع

أ – وظيفة الدين في حياة الفرد

الإسلام جاء ليلبي حاجات الفرد العقلية والنفسية والروحية والجسمية:

١– الناحية العقلية

رعى الإسلام العقل الإنساني رعاية كاملة، وبوأه المكان اللائق به، فلم يهدره ويحط من قيمته، ولم يسخر منه، ولم يؤلهه ولم يقدسه، ولم يحمله فوق طاقته. بل سعى إلى تنميته، وتكريمه، ودعا إلى استعماله في التفكير والبحث والتأمل في الكون، وسبر دقائقه، وكشف أسراره، والاستفادة من خيراته، والتمتع بطيباته التي خلقها الله ﷻ وسخرها للإنسان.

٢– الناحية النفسية

فقد اهتم الإسلام بالنفس الإنسانية، واتجه إليها بالرعاية والتربية والتوجيه، للوصول إلى الكمال النفسي، حتى تسمو العواطف النبيلة، ولم يغفل الدوافع النفسية. كما عالج الإسلام الأمراض النفسية في الإنسان كالهم والحزن والقلق والياس والخوف والقنوط والتردد والحيرة، عن طريق الإيمان بالله ﷻ وأنه الملجأ للإنسان في كل الأحوال.

[1] - وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم – دلالاتها وأبعادها الحضارية، ص: ٢١٩،٢٢٠.

[2] - علم المقاصد الشرعية، ص: ٨١.

٣- الناحية الروحية

الإسلام يعقد صلة بين النفس الإنسانية وبين خالقها في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور، وهذا يحرر الإنسان من قيود الذل والخوف والجبن والتردد ويرتفع بالفرد إلا مصاف الكمال والعزة والكرامة. ويحدث التوازن بين الجسم والروح والعقل.

٤- الناحية الجسدية

حيث يهتم الإسلام برعاية الجسم رعاية كاملة، بما يدعو إليه من النظافة والطهارة، والندب إلى الرياضة والمبارزة، واعتبار القوة الجسدية ميزة في الإسلام[١]: (**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ**)[٢].

ب – وظيفة الدين في حياة المجتمع

رعى الإسلام المجتمع، وخصه بالتوجيه والتربية والتشريع ليكون مجتمعا فاضلا، وتظهر آثار الدين في المجتمع بما يلي:

١- إقامة الروابط الاجتماعية الحية كلها عن طريق الدين، لربط الفرد بالمجتمع وغرس شعور الولاء والانتماء إليه في نفس الفرد.

٢- الدين من أقوى الروابط التي توحد المجتمع، وتدعم كيانه، وتقوي روابطه وتماسكه، وتجعل منه كتلة متراصة.

٣- الدين سلطان يكفل مهابة النظام الاجتماعي في النفوس ويمنع انتهاك حرماته.

٤- الدين يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع، في الحقوق والواجبات.

٥- الدين يحقق التوازن بين العقل والجسد والروح والنفس بما يؤدي إلى إصلاح الفرد، وبالتالي المجتمع.

٦- يحقق الدين التوازن بين المؤسسات والهيئات والجهاد المتعددة التي يتكون منها المجتمع حتى لا تتقدم جهة على أخرى فيقع الاختلال في المجتمع[٣].

---

[١] - الزحيلي، محمد. وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ط: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٤٠١هـ - ١٩٩١م، ص: ٥٣:٨١.

[٢] - صحيح مسلم، حديث رقم: ٢٤٤٦.

[٣] - وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص: ٨٣:٩٦.

وقد بينت سورة النور كمال الدين، من حيث إنه عقيدة، وشعائر، وخلق، ومعاملات (شرائع). وبينت شموله للزمان والمكان ومجالات الحياة وكيان الإنسان وجعل الدنيا مزرعة الآخرة. وقد بينا ذلك كله في كتابنا الأول من هذه السلسلة[١].

الخلاصة

تمكين الدين يشمل المعاني الآتية:

١- تمكين الدين في القلوب، وتمكينه من تصريف الحياة وتدبيرها.

٢- تثبيت قواعد الدين، وإعزاز جانبه، ليترتب على ذلك ثباته واستقراره، وعدم زعزعته بقيام حجة ضده، أو وهن البراهين المؤيدة له.

٣- انتشاره بين الناس، وكثرة متبعيه، فإذا انتشر كان راسخا ولم يُخش عليه الانعدام.

وتمكين الدين بهذه المعاني السابق مقصد الوعد الإلهي، فالدين منهج الاستخلاف، وله وظائفه المهمة بالنسبة للفرد والمجتمع، وحفظ الدين أهم مقاصد الشريعة.

[١] - راجع كتابنا: "متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية".

٣ – مقصد الأمن الشامل

الوعد بالأمن من بعد الخوف

قال ﷻ: ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾. لم يقل مثلاً: (وليؤمننهم)، كما قال في سابقيه، لأنهم كانوا في حالة هي ضد الأمن. وإضافة الخوف إلى الضمير (هم) للإشارة إلى أنه خوف معروف لهم مقرر عندهم. والتنكير في قوله ﷻ: ﴿ **أَمْنًا** ﴾ تعظيما لهذا الأمن، كونه جاء من بعد خوفهم المعروف الشديد[١]، ولأن من جاء لهم بهذا الأمن هو ملك الملوك ﷻ.

والقراءة بتشديد حرف الدال، توحي بتراكم الخوف واطباقه. أما القراءة بتخفيف حرف الدال، فتدل على السرعة التي حصل بها هذا التحويل والتغيير، من حالة الخوف المتراكم المطبق طويل الأمد، إلى حالة الأمن العام الشامل[٢]. فقد كانوا يعيشون قبل تمكين الدين لهم في فزع ورعب، وخوف يمزق قلوبهم، فلما أظهر الله ﷻ رسوله ﷺ على جزيرة العرب وضعوا السلاح وأصبحوا آمنين.

وخوف المسلمين في هذا الزمان، بسبب هجوم الأعداء وتكاثرهم عليهم، إنما كان نتيجة بعدهم عن دينهم، أما عندما يصدقون مع الله ﷻ، ويعودون إلى الإسلام وتطبيق شرع الله ﷻ فسوف يزيل الله ﷻ عنهم هذا الخوف في المستقبل، ويحل محله الأمن[٣].

ولا يعني هذا الوعد بالأمن ألا تحدث في بعض أقطار الأمة بعض حوادث الخوف، كما حدث لأهل المدينة من ثورة أهل مصر الذين قادهم الضال مالك الأشتر النخعي[٤]، ومثل الخوف الذي حدث في المدينة يوم الحرة [٥]، وغير ذلك من الحوادث، وإنما كانت تلك نتائج لبعض أفعال الناس، وإلى الله ﷻ مرجعهم، وعليه حسابهم[٦].

---

[١] - التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٨٧.

[٢] - من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال).

[٣] - الخالدي، صلاح عبد الفتاح. وعود القرآن بالتمكين للإسلام. ط: دار القلم – دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ١٩٩.

[٤] - الأشتر: مالك بن الحارث النخعي: كان شريفا كبير القدر في النخع، شهد اليرموك، وقلعت عينه يومئذ، وكان ممن ألب على عثمان، وقاتله وحضر حصره في المدينة. وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع علي، وكان خطيبا بليغا فارسا. أنظر: ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (٢/٣٣٦)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤/٣٤)، ((الأعلام)) للزركلي (٥/٢٥٩).

[٥] - يوم الحرة: أي: وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدي مسلم بن عقبة لما بايع أهل المدينة لعبد الله بن الزبير، وخلعوا بيعة يزيد، وخلعوا واليه في المدينة، وحاصروا بني أمية في دار مروان. ينظر: ((الروض الأنف)) للسهيلي (٣/٤٠٢).

[٦] - التحرير والتنوير، ١٨/٢٨٧.

تعريف الأمن

الأمن في اللغة ضد الخوف[1] لذلك قال ﷻ: ﴿ **وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾[2]. وأصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف. والأمن: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي"[3]. أما الأمن في الاصطلاح فهو: "شعور الإنسان بالسكينة والطمأنينة على حاجاته الدنيوية والأخروية، بدون تكلفة منه عند توفر أسبابه"[4]. وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: " الأمن للفرد وللمجتمع وللدولة من أهم ما تقوم عليه الحياة، إذ به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم"[5].

والأمن في الاصطلاح القانوني يقصد به الشعور بالطمأنينة، الذي يتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة، ووقايتهما من الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي، من خلال ممارسة الدور الوقائي القمعي، والعلاجي، الكفيل بتحقيق هذه المشاعر[6].

الأمن كمقصد للوعد الإلهي

الأمن نعمة من نعم الله ﷻ العظمى، وله مكانته الكبرى في الإسلام، وبتحققه يطمئن الإنسان على دينه، ونفسه، وعرضه، وماله؛ لذلك كان الأمن من أهم مقاصد الشريعة المباركة بشقيها "الكتاب والسنة"[7]. فقد جاءت نصوص القرآن حافلة بتعظيم شأن الأمْن، كقوله ﷻ: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأَمْناً** ﴾[8]،

---

[1] - الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ص: ١١٧٦.

[2] - النمل: ٨٩

[3] - القونوي: قاسم بن عبد الله بن أمير (ت ٩٧٨ هـ) ، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ت: يحيى حسن مراد، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٦٨.

[4] - اللوح: عبد السلام حمدان، عنبر: محمود هاشم، التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم " دراسة موضوعية"، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد: ١٤، العدد: ١، ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٦م، ص: ٢٣٢.

[5] - الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٧١/٦.

[6] - اللحام: محمود عزت، الشمايلة: ماهر عودة، كافي: مصطفى يوسف، الإعلام الأمني، ط: الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٥م، ص: ٤٣. نقلا عن بن بيه: عبد الله، خطاب الأمن في الإسلام، وثقافة التسامح والوئام.

[7] - مقاصد السنة النبوية، ٦- حفظ الأمن، (مقال).

[8] - البقرة: ١٢٥

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾[1] ، ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[2]، ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

كما أولت السنة النبوية المطهرة الأمن اهتماما واضحا وبالغا، وشددت على قضية الأمن، ودعت إلى استتبابه والمحافظة عليه، وإزالة كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تفويته أو الإخلال به[4]، ومن أمثلة ذلك:

١- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»[5]. حديث حسن غريب. وحيزت: جُمعت.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ** »[6]. حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**)[7].

وكذلك بعض القواعد الفقهية لها تعلق بموضوع الأمن ومن أمثلتها:

١- **قاعدة الأمور بمقاصدها:** التي تمنع التلاعب والكذب والاتهام والالتفاف على الألفاظ والصياغات[8].

٢- **قاعدة اليقين لا يزول بالشك:** وهذه القاعدة وما يندرج تحتها من قواعد من شأنها أن تجعل الإنسان يعيش في أمن واستقرار، لا يخاف افتراء من أحد، أو ادعاء مكذوبا عليه، فتحفظ له أمنه وحياته[9].

٣- **قواعد المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار مطلقا:** التي تنص على أن الأحكام منوطة بالمصالح، فيجب على المسلمين: أفرادا، وجماعات، ودولا، ومؤسسات، أن يعملوا على جلب المصالح والمنافع، ودرء

---

[1] - البقرة: ١٢٦

[2] - قريش: ٤

[3] - القصص: ٥٧

[4] - أحمد: عمر محمود عمر، القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ٢٠١٧، ص: ٥٥.

[5] - الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي (الجامع الكبير) ، ت: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، ط: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، حديث رقم: ٢٣٤٦.

[6] - سنن الترمذي، حديث رقم: ٢٦٢٧.

[7] - البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، ط: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، حديث رقم: ٦٦٥٩.

[8] - أحمد، عمر محمود عمر. القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام. رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين، ٢٠١٧هـ، ص: ١٢٥.

[9] - المرجع السابق، ص: ١٣٠.

المفاسد والأضرار، مثل: "درء الفاسد مقدم على جلب المصالح". "لا ضرر ولا ضرار"." كل ما أضر بالمسلمين وجب أن يُنفى عنهم". "الضرر يزال" ، "يُتحمل الضرر الخاص لمنع الضرر العام"[1].

٤- **قواعد وسائل المقاصد:** والتي تنص على أن المقاصد والغايات يتوصل إليها بوسائلها وطرقها، وأن تلك الوسائل تأخذ حكم مقاصدها، مثل: "الوسائل لها أحكام المقاصد" ، " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

مكانة الأمن في الإسلام

١- الأمن مفهوم شامل في الإسلام

الأمن في الإسلام مفهوم شامل، يتناول أمن الفرد دنيويا وأخرويا، وأمن الدولة الإسلامية داخليا وخارجيا، ويتعدى إلى أمن العالم الإنساني، والكون بأسره بعضه مع بعض[2]. والأمن يمثل الأساس الذي تنبني عليه الحضارة الإنسانية، بمجموع إنجازاتها المادية والمعنوية، ولذلك كان من دعاء الخليل عليه السلام: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ [3].

كما إن الأمن من دواعي الفطرة الإنسانية، ومن متطلباتها الاجتماع، وتقارب الناس بعضهم مع بعض في مجتمعات وتكوينات بشرية متعددة، تنتظم وتستقر في أمن يخيم عليها ويظللها: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ** ﴾ [4].

[1] - الخادمي، نور الدين مختار. القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل. بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب – المجلد ٢١، العدد ٤٢، ص: ٢٦.
[2] - درويش، نبيل محمد محمد. الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره النفسية في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢١٢.
[3] - البقرة: ١٢٦
[4] - البقرة: ١٢٥

٢- العلاقة بين الأمن والأمانة والإيمان

السبب الأول لوجود الأمن في هذه الأمة هو الإيمان، وهناك علاقة بين الإيمان والأمانة والأمن، فالأصل الذي يتفرع منه كل شيء هو الإيمان، ولا إيمان لمن لا أمانة له، وهناك الأمانة العامة العظمي، وأمانة الاستخلاف في الأرض، قال ﷻ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا** ﴾[1]، وأمانة شهادة الأمة على الناس بالنسبة لهذه الأمة خاصة. وهناك أمانات أخرى، كالصلاة، والزكاة، وتربية الأولاد، وكل تكليف من تكاليف الشرع أمانة من الأمانات.

وعندما يوجد الإيمان وتؤدى الأمانة، يأتي الأمر الثالث (الأمن) بصورة طبيعية، فالأمن نتيجة وليس فعلا يمكن أن نفعله، وإنما هو نتيجة طيبة ونعمة من الله ﷻ يتفضل بها علينا إذا آمنا وعملنا الصالحات[2].

والإيمان أيضا سبب الأمن يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[3]، يعني مَن أولى بالأمن من العذاب في يوم القيامة؟ الموحد أم المشرك؟[4]

وحالة الأمن التي يعيشها الإنسان المسلم نتيجة اتباعه منهج الله ﷻ ، وعدم إشراكه بالله ﷻ، تجعله يتمتع بالصحة النفسية، وهذا يجعله أقدر على الصمود أمام التحديات الكبيرة. قال ﷻ لكليمه موسى عليه السلام، عند خوفه من مشاهدة معجزة العصا[5]: ﴿ **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّ وَلَّىٰ مُدْبِرا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ** ﴾[6].

---

[1] - الأحزاب: ٧٢

[2] - نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم (محاضرة).

[3] - الأنعام: ٨١،٨٢

[4] - الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٤١ هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ، ١٣٠/٢.

[5] - الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره النفسية في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢٧٤:٢٧٧.

[6] - القصص: ٣١

"تحتاج الشعوب والدول إلى ضمان أمنها النفسي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري فضلًا عن أمنها الخارجي، حتى تتمكن من النهوض والتطلع إلى المستقبل. لكن الأمن المطلق لا يتحقق للإنسان إلا في دار النعيم التي وعد الله ﷻ بها عباده الصالحين"[1]، قال ﷻ: ﴿ **ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ** ﴾[2].

"والمقياس الحقيقي للتحضر يستمد قيمته مما يوفره من الأمن والطمأنينة، والإخاء، والتعاون. وأيما تحضر تحققت فيها هذه المعاني فهو تحضر حقيقي، وأيما تحضر جلب معه الخوف والعداوة فهو ليس بتحضر حقيقي. وعلى ذلك فإن مجتمعا بسيطا في مستوى المعيشة المادية لا يتجاوز الكفاف إلى الترف، ولكن يوفق في تحقيق مطالب الأمان والاطمئنان والمحبة والتعاون، فهو بذلك يكون أرقى في حقيقة التحضر من مجتمع آخر يبلغ مبلغا كبيرا في الأبهة المادية، ووسائل الترف، ولكنه يعاني من القهر والاستبداد والظلم"[3].

"فحفظ الأمن في الدنيا، مقصدٌ شرعي هامٌّ من مقاصد الإسلام؛ لأن بتحقُّقه تُعمَر الأرض، وتُبنى الحضارات، وتزدهر المجتمعات، وعلى مدار التاريخ البشري لم تقم حضارةٌ على الإطلاق إلاَّ في ظلِّ توفير الأمن. وقد جعل اللهُ ﷻ نِعمةَ الأمن من النعم العظيمة التي يمتنُّ بها على عباده"[4].

أسباب الأمن في الإسلام

١- الإيمان الصحيح

الإيمان الصحيح بالله ﷻ، وعد الله ﷻ به الأمن من بعد الخوف، لكن هذا الإيمان يستلزم أسباب ثلاثة:

أ- العمل الصالح: فالإيمان الصحيح لا ينفك عن العمل الصالح، الذي يشمل الشعائر الدينية، والأعمال الدنيوية.

ب- تحمل وأداء الأمانة بمفهومها الواسع الذي يستوعب الدين بجميع شعبه، والذي فسرت به الأمانة في قوله ﷻ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا**

---

[1] - كالو، محمد محمود. أمن الإنسان في ضوء القرآن، بحث منشور في مجلة مقاربات سنة ٢٠٢٠م، ص: ١٨.
[2] - الحجر: ٤٦
[3] - النجار: عبد المجيد عمر، فقه التحضر الإسلامي، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٩٢٧ هـ - ٢٠٠٦م ، ص: ٢٣،٢٤.
[4] - الدوسري: محمود بن أحمد، مقاصد السنة النبوية، ٦- حفظ الأمن، مقال منشور على موقع الألوكة، ١٤٤٢/٦/٩ هـ - ٢٠٢١/١/٢٣م.

الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ﴾[1] لكون الأمانة جاءت عقيب الطاعة في قوله ﷻ: ﴿ **وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾[2].

ج- الجهاد في سبيل الله ﷻ، وقد ربط القرآن الكريم بين الجهاد في سبيل الله ﷻ ، وبين حصول الأمن ربطا مباشرها، يظهر ذلك في ساحات القتال، كقوله ﷻ: ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾[3]. وفي مجالات الحياة المختلفة. فمن مقاصد الجهاد في سبيل الله ﷻ ، حماية المجتمعات البشرية، بل والكون كله من قوى الإرهاب التي تسعى في الأرض فسادا[4].

٢- التكافل الاجتماعي

حيث يربط التكافل الاجتماعي النسيج المجتمعي برباط الحب والتعاون والمودة، وهذه سمات تصنع من المجتمع مجتمعا آمنا يطمئن أفراده على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم، ويسود المجتمع أمنا شاملا في كل جوانب الحياة[5].

٣- المساواة والعدالة والحرية

يقصد بالمساواة: "أن يكون جميع المواطنين في الدولة الإسلامية متساوون أمام القضاء، من حيث خضوعهم لولايته، والإجراءات المتبعة في التقاضي، وتطبيق النصوص، وتنفيذ أحكام القضاء، وتحري العدالة مع الخصوم، دون تفرقة بين المتخاصمين"[6].

والعدالة تعني: "الاحترام الدقيق لحقوق الإنسان وإعطاء كل ذي حق حقه. والحرية هي: الحالة التي يكون فيها الإنسان سيد نفسه، وهي رفع القيود التي يمكن أن يفرضها إنسان على إنسان آخر، وهي القدرة على التصرف طبقا لما تحدده الإرادة، بمعنى أنها الأحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد الإنسان على تحقيق سعادته"[7].

[1] - الأحزاب: ٧٢

[2] - الأحزاب: ٧١

[3] - الأنفال: ١١

[4] - الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢٤٢:٢٥٧.

[5] - القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، ص: ١٠٢.

[6] - المرجع السابق، ص: ١٠٥.

[7] - المرجع السابق ، ص: ١٠٧.

٤- **السماحة**

أكبر مقاصد الشريعة: السماحة، وتعني "سهولة المعاملة في الاعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل".[١]

موانع الأمن في الإسلام

موانع الأمن في الأنفس والآفاق، هي أضداد الأسباب الرئيسية الموجبة لوجود الأمن في هذه الأمة، وعلى ذلك فإن موانع الأمن هي: الكفر والفسوق والعصيان. فإذا كان الإيمان هو سبب وجود الأمن الرئيس، وكان الشكر هو سبب استمرار الأمن، فإن الكفر هو المانع الرئيس لوجود الأمن، ولعل قصة سبأ[٢] تبين لنا هذا الأمر، وهذا الكفر يشمل: الكفر بالله ﷻ ، وكفران النعمة.

والفسوق هو الخرق المستمر لطاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ، ورفض الامتثال مطلقا، ليس جحودا لله ﷻ. والعلاقة بين الفسوق وبين امتناع الأمن علاقة طردية، فكلما وجد الفسق امتنع الأمن، ولكما امتنع الفسق وجد الأمن، زاد ما زاد.

والعصيان هو الخروج عن الطاعة، وهو يكون ممن يطيع أحيانا ويعصي أحيانا، ووجود المعاصي يمنع بقدر وجودها من حصول الأمن عند العاصي، سواء كان فردا أو جماعة، قال ﷻ: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴾[٣]. والعلاقة بين العصيان لله ﷻ ، ولرسوله ﷺ، وبين امتناع الأمن علاقة طردية، فكلما وجد العصيان امتنع الأمن، ولكما امتنع العصيان وجد الامن، زاد ما زاد[٤].

---

[١] - القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام ، ص: ١١١.

[٢] - ذكرت قصة سبأ في سورة سبأ، الآيات من ١٥:١٩.

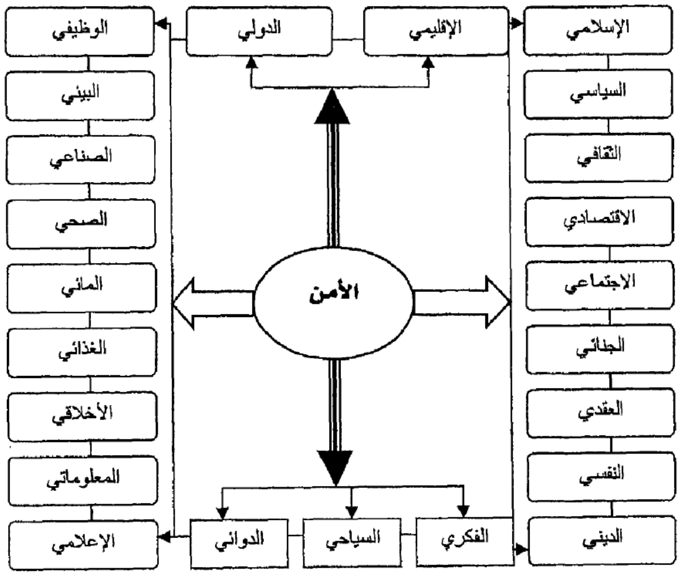
[٣] - فاطر: ١٠

[٤] - الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢٥٧:٢٦٥.

مفهوم الأمن الشامل وأقسامه

"الأمن شيء كلي شامل، ونعمة غير قابلة للتبعيض، إما أن تكون أو لا تكون. و(الأمن الشامل) عبارة اصطلاحية حديثة، يستعملها أصحاب الاختصاص لتدل على كل أبعاد ومتطلبات الإنسان، في كافة مجالات الحياة، أي كل ما يحتاجه من أمن على نفسه وماله وأهله ووطنه، وغير ذلك"[١].

وتشمل منظومة الأمن الشامل حديثا ما يبينه الشكل التالي[٢]:



فالأمن في الدنيا أقسام متعددة يشد بعضها بعضا. وبمناسبة ورود الوعد بالأمن من بعد الخوف في سورة النور، فإن آيات السورة قد حوت عدة أنواع من أنواع الأمن كدلالة على شمول مفهوم الأمن المفضي إلى إقامة الحضارة الشاهدة على الناس.

---

[١] - القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، ص: ٢٢.

[٢] - اللحام، محمود عزت – الشمايلة، ماهر عودة – كافي، مصطفى يوسف. الإعلام الأمني. ط: دار الاعصار للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص: ٤٦.

وفيما يلي نذكر بعض ما ورد في سورة النور من أنواع الأمن:

١ – **الأمن النفسي** : هو الطمأنينة القلبية والسكينة، وعدم القلق والاضطراب[١]. هذا الأمن النفسي الذي يجده المسلم:

أ– في بيوت الله ﷻ وفي ذكره وتسبيحه: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ** ﴾[٢] .

ب– وفي ذكر الله ﷻ وطاعته وتقواه وإيثار الآخرة: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾[٣].

ج– وفي الاطمئنان لمثوبة الله ﷻ في الآخرة ورزقه في الدنيا من كل أنواع الرزق: ﴿ **لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[٤] .

ء– وإذا عصى المسلم الشيطان أحس بالأمن النفسي: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ** ﴾[٥] .

هـ– وبإيمانه يتناغم المؤمن مع الكون فيحس بالأمن النفسي، فإذا كان يسبح لله ﷻ فالكون أيضا يسبح لله ﷻ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾[٦].

٢– **الأمن الفردي:** هو توفير الأمن الكافي للشخص، فلا يتعرض لأي أذية أو فعل يمس أمن شخصه[٧]، فالإسلام يكفل له حرية الرأي وحرية اتخاذ القرار : ﴿**وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ**

---

[١] - أمن الإنسان في ضوء القرآن، ص: ٢٠.
[٢] - النور: ٣٦
[٣] - النور: ٣٧
[٤] - النور: ٣٨
[٥] - النور: ٢١
[٦] - النور: ٤١
[٧] - كابويا، رشيدة. حق الأمن الفردي في الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي الجزائري – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الشريعة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الجامعة الأفريقية العقيد أحمد دراية أدرار، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م، ص: ٢٥.

إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

٣- **الأمن المجتمعي:** يقصد به: القدرة على المحافظة على استمرارية الأنماط التقليدية للغة والثقافة والهوية والعادات. وسورة النور قد حذرت من كل ما يمس الأمن المجتمعي، كالإشاعات المغرضة: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، ونشر الفاحشة في المجتمع: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] ، ودعت إلى التعفف: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[4]، ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ ﴾[5]، وغير ذلك مما ذكر في السورة ويصب في ترسيخ الأمن المجتمعي، كالأمر بغض البصر للرجال والنساء، وإشاعة القاء السلام في المجتمع، وإحسان العلاقة بين الأقارب والأرحام. وأمن الأسرة، بتحريم الزنا، وتشريع حد الزنا، وآداب الاستئذان.

٤- **الأمن السياسي:** إن الوعد بالاستخلاف هو أساس الأمن السياسي في المجتمع والذي يتحقق به كل ما يدخل تحت هذا البند، بما يضمن تأمين مسار الحياة السياسية في المجتمع بما يكفل أمن جميع العناصر المكونة له[6]. كما يشمل الأمن السياسي احترام حق الإنسان في التعبير عن رأيه وحمايته من القمع السياسي، بما يؤدي إلى تحرر المواطنين من الخوف والحاجة[7]. وقد أشار سورة النور إلى ذلك بالدعوة إلى مكاتبة الرقيق الراغب في التحرر، وعدم إكراه الفتيات الرقيق على البغاء إن أردن تحصنا.

٥- **الأمن الاقتصادي:** الذي يعني توفير مستلزمات العمل والإنتاج لتلبية احتياجات السكان الضرورية، واستثمار ثروة المجتمع بدلا من استهلاكها، وتنميتها بدلا من هدرها، ويعني أيضا بالنسبة للسكان: أمن العمل، وأمن الدخل، أي وجود عمل منتج ووجود دخل أساسي مضمون[8]. وفيما أشارت إليه سورة النور بهذا الخصوص نجد الإشارة إلى النظام الاقتصادي الإسلامي، كما بيناه في أثناء الحديث عن أنظمة

---

[1] - النور: ٣٣
[2] - النور: ١٢
[3] - النور: ١٩
[4] - النور: ٣٣
[5] - النور: ٦٠
[6] - الإعلام الأمني، ص: ٥٣.
[7] - أمن الإنسان في ضوء القرآن، ص: ٢٤.
[8] - الإعلام الأمني، ص: ٥٣.

الدولة في سورة النور. كما نجد إشارة السورة إلى الرجال الذين لا تلهيهم تجارتهم الرابحة (التي تنمي ثروة المجتمع) عن ذكر الله ﷻ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. والإشارة إلى أولئك الذين لا يجدون نكاحا وأمرتهم بالتعفف حتى يغنيهم الله ﷻ من فضله بما ييسره لهم من عمل يكفيهم ويلبي احتياجاتهم.

٦- **الأمن الديني والفكري والعقائدي:** بمثل منع الإشاعات المغرضة، وحفظ المجتمع من نشر الفاحشة فيه، وبنشر الأخلاق الحميدة ومحاربة الأخلاق الفاسدة، ونشر المودة بين أفراد المجتمع وإقامة الشعائر والشرائع في المجتمع، وقد أشارت سورة النور إلى ذلك كله وأكثر.

٧- **الأمن الغذائي:** يشير هذا المصطلح إلى حصول جميع أفراد المجتمع بانتظام على ما يكفي من الغذاء[١]. وقد بينت سورة النور هذا الأمر: ﴿ **وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ** ﴾[٢].

٨- **الأمن المائي:** أي تلبية الاحتياجات المائية المختلفة كما ونوعا مع ضمان استمرارها، والضمان للماء عبر الزمان والمكان[٣]. وقد أشارت السورة إلى ذلك: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ** ﴾[٤]، فالله بقدرته على إنزال الماء من السماء يكفي الناس من الماء الذي يحتاجونه لانتظام أمر دنياهم.

٩- **الأمن القومي والوطني** : يتحقق هذا الأمر بتحقيق الاستخلاف (الحكم الإسلامي الراشد) الذي يقوم بواجباته التي سنوضحها، عند الحديث عن أهمية الحكم الإسلامي، ومقاصده.

الخلاصة

أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن نعمة من الله ﷻ ، والأمن من مقاصد وعد الله ﷻ الذي وعده المؤمنين الذين يعملون الصالحات إذا ما التزموا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه. وهو مقصد من

---

[١] - موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ عن المنظمة. https://www.fao.org/about/about-fao/ar/
[٢] - النور: ٦١
[٣] - عبد الله، عصام أبو اليزيد. مقومات الأمن المائي في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الأول، المجلد الأول، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م، ص: ١١٨،١١٩.
[٤] - النور: ٤٣

مقاصد الشريعة دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، واهتمت به القواعد الفقهية ذات الصلة بالأمن. وللأمن مكانته في الإسلام، وله علاقة بالإيمان والأمانة، كما إنه المقياس الحقيقي للتحضر. والإيمان الصحيح وما يتعلق به من عمل صالح وأداء الأمانة والقيام بواجب الجهاد، أهم أسباب الأمن في الإسلام، ويعضده التكافل الاجتماعي والسماحة والمساوة والعدالة والحرية. أما موانعه كما وضحها القرآن الكريم فهي الكفر والفسوق والعصيان.

والأمن مفهوم شامل غير قابل للتبعيض، وقد بينت سورة النور بعض أنواعه، كالأمن النفسي، والفردي، والمجتمعي، والسياسي، والاقتصادي، والديني، والغذائي، والمائي، والقومي.

ثانيا - المآلات

ثانيا - المآلات

الصيرورة إلى المآلات

سبق أن ذكرنا أنه قد يكون هناك مقابلة أو تطابق بين المقاصد القدرية ومقاصد الشريعة. وامتدادا لهذه العلاقة، يتضح لنا أن هناك مقابلة بين الوعد الإلهي كأمر قدري، وبين التكليف الشرعي، فلكل منهما أسبابه، وشروطه ، وموانعه، ومقاصده. وإذا كان مبدأ اعتبار المآلات قبل إصدار الأحكام الشرعية، يقوم على النظر في عواقب الأفعال، ونتائجها المستقبلية، بما يضمن انسجام هذه الأحكام مع مقاصد الشريعة ومصالح العباد[١]، فإن ذلك يقابله أيضا في جهة الوعد الإلهي، ضرورة التعرف على المآلات المستقبلية المتوقعة للأمة الإسلامية، من خلال هذا الوعد، والتي تحقق مقاصده، وتنسجم مع المصالح التي يجلبها للأمة الإسلامية.

والمآلات في اللغة: جمع مآل. والمآل هو المرجع، والعاقبة، والمصير، سواء كان ذلك المآل إلى ما ابتدأ به الأمر (الرجوع إلى أصل الحال الأول) أو المآل إلى ما انتهي إليه (المصير إلى أمر آخر لم يُبتدأ به)[٢].

وفي فقه المآلات: تعني النتائج والآثار التي تترتب على الحكم الشرعي أو التكليف[٣]. أي العواقب المتوقعة مستقبلا والتي يجب أخذها في الاعتبار عند تطبيق الأحكام الشرعية[٤]. فمراعاة ما تؤول إليه الأمور في المستقبل المتوقع، وعدم اقتصار النظر إلى واقعها وحاضرها ونتائجها الفورية، هو المقصود بقاعدة (اعتبار المآل)[٥]. " فالمآل هو ذلك الواقع المُصار إليه، بعد حركة الواقع المشاهد"[٦].

---

[١] - الأنسي، عبد السلام حمود غالب. تأصيل اعتبار المآلات في الفقه الإسلامي: دراسة تحليلية وتطبيقية معاصرة. بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية جامعة كابل، المجلد ٢، العدد١، سنة ١٤٤٧هـ، الصفحات(٢٠٥-٢٢٩).

[٢] - الأنصاري، فريد. المصطلح الأصولي عند الشاطبي. ط: مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص: ٤١٥.

[٣] - القرضاوي، يوسف. فقه المآلات. بحث مقدم للدورة الثانية والعشرين للمجلس الأوروبي، ٦-١٠ شعبان ١٤٣٣هـ / ٢٦-٣٠ يونيو ٢٠١٢م. منشور على موقع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

[٤] - المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ص: ٤١٦.

[٥] - القواعد الأساس لعلم مقاصد الشريعة: القاعدة الثالثة: قاعدة اعتبار المآل. مقال منشور على موقع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، https://al-furqan.com/ar/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٢%D٨%A٧%D٨%B٩%D٨%AF%D٨%A٩-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٢%D٨%A٧%D٨%B٩%D٨%AF%D٨%A٩-%D٩%٨٢%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AB%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AB%D٨%A٩-%D٩%٨٢%D٨%A٧%D٨%B٩%D٨%AF%D٨%A٩-%D٨%A٧%D٨%B٩%D٨%AA%D٨%A٨%D٨%A٧%D٨%B١%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥%D٨%A٢%D٩%٨٤/

[٦] - المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ص: ٤١٨،٤١٩.

وفي مجال الوعد الإلهي نعني بالمآلات، النتائج والآثار والعواقب المستقبلية المتوقعة، التي يصير إليها واقع الأمة الإسلامية، إذا ما أوجدت سبب الوعد الإلهي، وحققت شرطه، ونفت عن نفسها موانعه. تلك النتائج والآثار والعواقب التي تحقق مقاصد هذا الوعد، وتنسجم مع المصالح التي يجلبها للأمة الإسلامية.

مآلات الوعد الإلهي

إذن علينا أن نتعرف على المآلات المتوقعة للأمة الإسلامية، من خلال مقاصد الوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن، التي ناقشناها، في ضوء السنن الإلهية الكونية في الكون، والاجتماعية في الأمم والجماعات والأفراد.

فإذا كانت مقاصد الوعد الإلهي هي: الاستخلاف بإقامة الحكم الإسلامي الراشد، وهيمنة الإسلام على مقومات الحياة الفردية والعامة في المجتمع في ظاهرها وباطنها، وتثبيت الأمن الشامل في المجتمع. فإن ذلك يقودنا إلى أن نقرر أن المآلات المستقبلية للأمة الإسلامية، والمتوقعة من خلال هذا الوعد، في حال أوجدت الأمة الإسلامية أسبابه، وحققت شرطه، ونفت عن نفسها موانعه، ستكون كما يلي:

١- مقصد الاستخلاف ← (الحكم الراشد) مآل الأمة الإسلامية من خلاله، هو إقامة الخلافة الراشدة الثانية، على منهاج النبوة، والتي بَشَّر بها النبي ﷺ.

٢- مقصد تمكين الدين ← مآل الأمة الإسلامية من خلاله، هو نجاحها في تحكيم الشريعة في كل الأمور الخاصة والعامة، في حياة الأفراد والمجتمعات. المآل هنا هو أن يصبح الإسلام هو المهيمن والموجه للحياة، وتزول العوائق التي تمنع الناس من تطبيق شرع الله ﷻ. ويصبح الدين "مكيناً" أي راسخاً، ثابتاً، ومحترماً، لا يجرؤ أحد على الاستخفاف به. ويتحقق انتشار الإسلام وتطبيقه الكامل، مع قوة المسلمين في مواجهة التحديات، ويصبح الدين مرتضى ومسيطرًا دون تشويه. أي ترسّخ الشريعة وقيمها في المجتمع والنظام والدولة.

٣- مقصد الأمن ← المآل هنا هو قيام الأمة ببناء حضارة حديثة، مرتكزة على فكرة التوحيد، ومتكاملة الجوانب المادية والمعنوية، لتكون شاهدة على الأمم.

وقبل ذلك أو معه، مما لا بد منه:

أولا – إصلاح المجتمعات الإسلامية.

ثانيا– التحرير الشامل للأمة الإسلامية.

ثالثا – وحدة الأمة الروحية والفكرية والدينية والشعورية والاقتصادية والسياسية.

رابعا – تحقيق خيرية الأمة، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله ﷻ.

خامسا – ظهور الإسلام على الدين كله.

المآلات والرؤية المستقبلية

وضوح الرؤية لدى تيار الصحوة الإسلامية (بعمومه)، من الضرورة والأهمية بمكان؛ فهو من ناحية دليل رشد الصحوة، وإشارة إلى تصحيح مسارها، ومن ناحية أخرى إنارة لطريقها، وتوجيها لها إلى غاياتها. فكيف لتيار الصحوة الإسلامية أن يسير في طريقه لتحقيق المآلات المتوقعة للأمة الإسلامية، بلا رؤية واضحة للطريق؟ بلا أهداف محددة مبرمجة مخططة، يسعى لتحقيقها واحدا تلو الآخر، حتى يصل إلى غايته النهائية؟

إن هذه المآلات تمثل أيضا مفردات الرؤية المستقبلية للأمة الإسلامية:

١- إصلاح المجتمعات الإسلامية، وتهيئتها للقيام بتحرير أقطار الأمة الإسلامية.

٢- التحرير الشامل لأقطار الأمة الإسلامية، وإقامة الحكم الإسلامي في كل قطر من أقطارها.

٣- تحكيم الشريعة الكاملة الشاملة في الأمور الخاصة والعامة، في حياة الأفراد والمجتمعات.

٤- وحدة الأمة الروحية والفكرية والدينية والشعورية والاقتصادية والسياسية.

٥- خلافة راشدة على منهاج النبوة تضم الأقطار الإسلامية بعد تحريرها، وإقامة الإسلامي فيها، واتحادها.

٦- الأمن الشامل المفضي إلى حضارة حديثة شاهدة على الأمم، مرتكزة على فكرة العقيدة، ومتكاملة الجوانب المادية والمعنوية.

٧- تحقيق خيرية الأمة، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله ﷻ.

٨- ظهور الإسلام على الدين كله.

المآلات كدليل على صحة الطريق

في سيرنا نحو تحقيق الأهداف الكبرى، نحتاج إلى دليل أو إشارات أو علامات هادية ومرشدة؛ هل نسير في الطريق الصحيح؟ أم أننا نراوح في مكاننا؟ أو ندور في حلقة مفرغة؟ ما هي العلامات التي عندما نراها نقول إننا نسير في الطريق الصحيح؟

نقول بحول الله ﷻ: إنه إذا كان لدينا رؤية واضحة للخطوة المستقبلية القادمة، وقررنا أهدافا عامة نسعى للوصول إليها، وأهدافا خاصة محددة قابلة للقياس. إن هذا يعني أننا نعرف إلى أين نسير؟ ولماذا؟ وكيف؟ ومعنى ذلك أننا قد أوجدنا المقاييس التي نقيس عليها برنامجنا العملي. أما إذا لم يكن لدينا مثل هذه الأمور، فلا يوجد لدينا مقياس لصحة الطريق، فإن صحة الطريق تقاس بالإنجازات التي حققناها بناء على الأهداف التي وضعناها.

فإذا جئنا على سبيل المثال، إلى أول خطوة، والتي ينبني عليها كل ما سواها، ألا وهي خطوة إصلاح المجتمع، فعلينا ما يلي:

١- وضوح رؤيتنا لصلاح المجتمع، يعني أن نعي المجالات التي نسعى لإصلاحها في المجتمع، كالعقيدة، والفكر، والعبادات، والأخلاق، والمشاعر، والقيم، ....

٢- نضع أهدافا عامة، مثلا في العقيدة: تحجيم الإلحاد، وتقوية الإيمان.

٣- نضع أهدافا خاصة محددة يمكن قياسها، مثلا تقليل نسبة الذين يتابعون البرامج والقنوات الإلحادية إلى النصف خلاف فترة كذا، بناء على دراسة حقيقية. وهكذا مع باقي الأهداف.

ثم نقوم بعملنا المخطط المبرمج لتحقيق الأهداف الخاصة. فما حققناه منها فهو النجاح الذي نرجوه، وما لم يتحقق علينا أن نعيد التفكير مرة أخرى، ما الذي حدث؟ ولماذا لم نتمكن من تحقيق هذا الهدف؟ ثم نصل إلى أمور للتصحيح. وهكذا في كل الخطوات من إصلاح المجتمع، ثم تحرير القُطْر، وهكذا ....
إن النجاح في هذه الخطوة الأولى، خطوة إصلاح المجتمع، هو الأساس لكل ما بعده من خطوات. وعدم النجاح في هذه الخطوة يعني أن أبناء الصحوة الإسلامية لديهم قصور، يحتاج إلى استدراك.

قد يحتج البعض بأمور:

١- النصر ليس فورياً دائماً؛ فقد يكون مؤجلاً لأسباب حكيمة، كالابتلاء لتمحيص الإيمان، أو لزيادة الأجر، أو لاستكمال إعداد الأمة.

نعم هذا صحيح، إذا كان لدينا رؤية شاملة، وخطة جادة، وتنفيذ طموح، واستكمال للأسباب والشروط ونفي الموانع المعيقة لتحقيق خطوة من الخطوات. فنقول حينها أن هناك حكمة للتأخير. لكن إذا لم يكن لدينا ذلك كله، فلا يجوز أن يكون القدر تبريرا للقصور، والتسويف، والأخطاء.

٢- قد يكون تأخُّر النصر من الابتلاء الذي يسبق التمكين.

نعم هذا صحيح، لكن الرد هنا لا يختلف عن الرد السابق، وقد يكون الابتلاء أيضا عقابا من الله ﷻ على التقصير، والتسويف، تذكيرا وتنبيها وتصحيحا للمسار. وهنا يجب أن يراجع أبناء الصحوة مفاهيمهم، وأساليبهم، وأدواتهم، وعلمهم، وفهمهم، و.....

عموما إذا كان لدينا أهداف محددة في مجالات عديدة، فلا شك أن بعض هذه الأهداف يجب أن يتحقق، إما إذا لم تتحقق كلها أو معظمها، فإن هناك مشكلة بحاجة إلى الإصلاح، في طريقة التفكير، أو أساليب الأداء، أو الأدوات المستخدمة، أو غيرها.

ويجب أن ننبه هنا على أن سنة الله ﷻ المقررة هي نصر المؤمنين، وهي لا تتخلف أبدا عن المؤمنين. لكن إذا كان واقع المسلمين هو الهزيمة والقهر وانحسار سلطانهم، فلا سبب لذلك إلا لفقدانهم بعض معاني الإيمان التي بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما يقتضي ذلك من صفات وأفعال. هنا يجب عليهم مراجعة أنفسهم، ويعرضوها على معاني الإيمان ومقتضياته، ويزنوها بميزانه، ليعرفوا الخلل الذي أصابهم، والنقص الموجود فيهم، ليقوموا بالتصحيح واستدراك ما فاتهم من معاني الإيمان في نفوسهم، وثمراته الخارجية، حتى يدخلوا مرة أخرى في مضمون هذه السنة الإلهية[١]: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

الخلاصة

المآلات المنتظرة لمستقبل الأمة الإسلامية، هي النتائج والآثار والعواقب المستقبلية المتوقعة للأمة الإسلامية، والقائمة على أساس رعاية مقاصد وعد الله ﷻ، والتي يجب أخذها في الاعتبار. وللتشابه الحاصل بين الوعد بالخلافة والتمكين والأمن وبين الحكم الشرعي، فإن توقع المآلات المترتبة على تحقيق الوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن، من الضرورة والأهمية بمكان.

والمآلات (النتائج) التي تتحقق من رعاية مقاصد الوعد بالاستخلاف والتمكين والأمن، هي: إصلاح المجتمعات، وتحرير الأقطار الإسلامية وإقامة حكم إسلامي في كل منها، وخلافة راشدة، وتحكيم للشريعة، والأمن الشامل، وقيام حضارة حديثة. مع عودة الأمة لوحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وظهور الإسلام على الدين كله. والمآلات تمثل الرؤية المستقبلية للأمة الإسلامية، ومن ثم فإن وضوح الرؤية وتحديد الأهداف من أهم الأمور التي يجب على التيار الإسلامي أن يعيها.

---

[١] - زيدان، عبد الكريم. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص: ٥٥.
[٢] - الروم: ٤٧.

١ – إصلاح المجتمعات الإسلامية

اهتمام الإسلام بالمجتمع المسلم

اهتم الإسلام بالمجتمع اهتمامه بالفرد، لتأثر كل منهما بالآخر وتأثيره فيه، وإذا كان صلاح الفرد لازما لصلاح المجتمع، فإنه لا صلاح للفرد إلا في مجتمع مسلم صحيح، يربيه على الإسلام ويعينه عليه، ولذلك كانت الهجرة إلى مدينة تأسيسا للمجتمع المسلم الذي يتجسد فيه الإسلام بعقائده وقيمه وشعائره وشرائعه[١].

والمجتمع المسلم يتميز عن غيره من المجتمعات بكونه مجتمع رباني إنساني أخلاقي متوازن. "والمسلمون مطالبون بإقامة هذا المجتمع، حتى يمكِّنوا فيه لدينهم، ويجسدوا فيه شخصيتهم، ويحيوا في ظله حياة إسلامية متكاملة: حياة توجهها العقيدة الإسلامية، وتزكيها العبادات الإسلامية، وتقودها المفاهيم الإسلامية، وتحركها المشاعر الإسلامية، وتضبطها الأخلاق الإسلامية، وتجملها الآداب الإسلامية، وتهيمن عليها القيم الإسلامية، وتحكمها التشريعات الإسلامية، وتوجه اقتصادها وفنونها وسياستها: التعاليم الإسلامية"[٢]. إن تكوين هذا المجتمع كأول مآل من المآلات التي ننشدها للأمة الإسلامية، هو الأساس لما بعده من المآلات التي تحقق مقاصد الوعد الإلهي. فمثل هذا المجتمع هو الذي سيحرر الأوطان الإسلامية من المحتل وأعوانه، ثم ينطبق بإذن الله ﷻ ورعايته لتحقيق الغايات الكبرى التي يسعى إليها، والتي تتوقف على هذه الخطوة.

وفي كتابنا السابق من هذه السلسلة (ملامح المجتمع المسلم المنشود في سورة النور)، شرحنا بالتفصيل الصفات والملامح التي يجب أن تتحقق في هذا المجتمع حتى يبدأ في الحركة إلى تحقيق باقي المآلات، بما يغني عن التكرار.

---

١ - القرضاوي، يوسف. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. ط: مكتبة وهبة، المقدمة، ص: ٣.
٢ - المرجع السابق، المقدمة ص: ٥.

٢ – تحرير الأمة الإسلامية

تحرير الأمة مفهوم شامل

قد يتبادر إلى الذهن عند إطلاق "تحرير الأمة" أن المقصود تحريرها من ربقة الاحتلال الأجنبي، خاصة الغربي، الذي احتل غالبية بلاد الإسلام عسكريا وجثم على صدورها فترات طويلة. إلا إن هذا النوع من الاستعمار، وما تبعه من استغلال وسرقة ونهب لثروات الأمة، وإن كان من أخطر أنواع الاستعمار، إلا إنه ليس الاحتلال الوحيد، فقد احتل الغرب، ليس فقط الأوطان الإسلامية، عسكريا، وسياسيا، واقتصاديا، بل أيضا احتل الإنسان المسلم نفسه، عقله، وروحه، وفكره، فتركه مسخا لا هو بالمسلم الحق، ولا هو تقدم في أي مجال؛ بعدما انسلخ من إسلامه الذي أقام له الحضارة، وأنار له الطريق.

لقد اقترن الاحتلال الأجنبي بالاستشراق والتنصير والغزو الفكري، التي كانت أهم وسائل المحتل لإخضاع الأمة الإسلامية للفكر الغربي، الذي ادعى الحرية والإخاء والمساواة، التي لا يطبقها إلى على الغربيين فقط، أما غيرهم فليس لهم إلا الوحشية والاضطهاد والبربرية من هؤلاء المتحضرين.

إن الذي فعله الجيش الفرنسي (كمثال) في مصر، جيش أبناء الثورة الفرنسية التي أعلنت الحرية والإخاء والمساواة، من نهب وسرقة وضرب وتعذيب وإعدامات، وقتل للأسرى، مما يندى له جبين الإنسانية. لقد رأى الجميع كيف نكل نابليون الذي سعى لتحرير أوروبا بالشعب المصري عندما ثار لأجل الحرية. بل إن ما فعلته فرنسا – داعية الحرية – في الأقطار الإسلامية التي احتلتها يشيب له الولدان. لا شك أن كل ذلك ينبغ من النفاق والضمير المزدوج الي ميز الحضارة الغربية، التي تؤمن بأن الناس ليسوا سواسية، فالجنس الأبيض له الحرية والمساواة والإخاء، أما غيره، فله من القسوة والتنكيل والاضطهاد الفردي والجماعي، ما تعجز عنه أقسى الوحوش، وما يفوق عهود البربرية[١].

---

[١] - كشك، محمد جلال. الغزو الفكري. ط: الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة- الطبعة الثانية، ص: ٢٦-٢٨.

"إن الرسالة الكبرى للإسلام تتلخص في تحرير الإنسان من مصيبة الإذلال والاستغلال والاستصغار، وإخراجه إلى رحاب التوحيد والكرامة والعدل والحرية، وأن يكون عبدا لله ﷻ وحده لا شريك له، وهذا هو المفهوم الي يتوجب على المسلم التمسك به، والعمل على نشره وتحقيقه في الواقع" [١].

إن تحرير الأمة الإسلامية، كما يعني التحرير العسكري، للأراضي الإسلامية المحتلة، كفلسطين، وغيرها، فإنه يعنى أولا التحرير الفكري، والتحرير الشامل، الذي يشمل أيضا تحرير الأمة من وكلاء المحتل، والتحرير السياسي، والاقتصادي، والعلمي، والثقافي، وكل أنواع الاحتلال.

أ- التحرر الفكري

"الغزو الفكري تعبير مجازي، يُقصد به محاربة الخصم، ومحاولة القضاء عليه، بغير الطرق العسكرية" وهذا ما قام به أعداء الإسلام، للقضاء على الإسلام، وإخراج المسلمين منه أو صرفهم عنه، حتى يمكنهم السيطرة عليهم بالطرق غير العسكرية[٢].

لقد احتكت أوروبا المسيحية بالمسلمين في الحروب الصليبية، ورغم ضعف الدولة الإسلامية في وقتها، إلا إن الصليبيين قد وصلوا إلى قناعة مفادها أنهم لن ينالوا من الأمة إلا إذا نالوا من عقيدتها أولا. فكان أول ظهور الاستشراق كمرحلة تالية للحروب الصليبية، حيث بدأ قوم من الغربيين الكتابة عن الإسلام بدافع التعصب بلا أمانة علمية، طلبا لتشويه صورة الإسلام. فالقرآن من وضع محمد، والقرآن والسنة من صنع البشر، ودعوا إلى التصوف (بالمفهوم الخاطئ) لما يؤدي إليه في الغالب من صرف أصحابه عن الجهاد. كما لجأوا إلى التبشير كوسيلة للحد من توسع الإسلام وانتشاره. ثم دخلت الصهيونية ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين في وحدة عالمية تقاوم اليهودية العالمية.

ولقد حاول المستشرقون أن يشوهوا أصول الإسلام، وأن يهدموا المقومات الأساسية التي يقوم عليها كيان الفرد والمجتمع المسلم نفسيا وعقليا، حتى يستسلم المسلمون للاستعمار الغربي وثقافته وفكره. وقد استخدموا أساليب متعددة للوصول إلى أهدافهم[٣].

---

[١] - الوغليسي، محمد الأمين مقراوي. تحرير الإنسان والأوطان من منظور إسلامي. مقال منشور في موقع الخطباء، يوم ١٠/١٠/ ٢٠٢٠ – ١٤/ ٣/ ١٤٤٤هـ.
[٢] - محمد، إسماعيل على محمد. الغزو الفكري التحدي والمواجهة. ط: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص: ١٤.
[٣] - جريشة، على محمد – الزيبق، محمد شريف. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي. ط: دار الاعتصام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص: ١٨-٢٦.

أما التبشير فقد قطعوا فيه شوطا كبيرا، فقد فتحوا المدارس والجامعات التي تبذر بذور الشك أو الانحراف في المختلفة في أنحاء العالم الإسلامي، حتى عاصمة الخلافة الإسلامية نفسها. وقامت هذه المدارس بالتأثير على الأطفال والشباب المسلمين، حتى وصلوا إلى نتائج جيدة بالنسبة لهم. كما استخدموا البعثات التعليمية إلى الدول الأوروبية لتغيير العقلية المسلمة، كما حدث مع رفاعة الطهطاوي وطه حسين، وغيرهما. ومن وسائلهم فتح المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية، التي أدت إلى نتائج أسرع وأفضل، إلى جانب وسائل أخرى كثيرة أدت إلى تحقيق جزء كبير من أغراضهم[١].

لقد أوضح النبي ﷺ أمر هذه التبعية؛ ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ ، قال: فمن؟**)[٢]، وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفارس والروم ؟، قال: فمن الناس غير أولئك؟**)[٣]. وقد صدق النبي ﷺ فيما قال، فلقد قلد المسلمون من احتلهم، في أفكاره الباطلة، وعاداته السيئة، وأخلاقه الذميمة، وأفعاله المشينة، ظنا منهم أن ذلك هو التقدم والحضارة.

في فترات ازدهار الحضارة الإسلامية، التي قامت على العقيدة الإسلامية الصحيحة، احتك المسلمون بغيرهم من الحضارات، وأخذوا منها وأضافوا إلى الحضارة الإنسانية، دون أن يؤثر ذلك على عقيدتهم. إلا إنه في فترات الانحطاط التي أصابت المسلمين، الناتجة من التخلف العقدي والانهزام الحضاري، خاصة في التعامل مع الحضارة الغربية، تأثر سلبا فكر عموم الأمة، الأمر الذي أدى إلى الأخذ غير المتبصر عن هذه الحضارة، بلا تمييز بين النافع والضار، ولا بين ما يتفق مع عقيدة الإسلام ونظمه ومناهجه، وما يتعارض معها. الأمر الذي أدى إلحاق التدمير بمقومات الشخصية الإسلامية، ومن ثم خروجها من ساحة الاحتكاك الحضاري، حتى أصبحت في نهاية المطاف تابعة لغيرها تدور في فلكه[٤].

---

[١] - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص: ٣٠-٣٢.
[٢] - صحيح البخاري، رقم ٧٣٢٠، وصحيح مسلم، رقم ٢٦٦٩.
[٣] - صحيح البخاري، رقم ٧٣١٩.
[٤] - خليل، عماد الدين. مدخل إلى الحضارة الإسلامية. ط: الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، ص: ١٩١، قطب، محمد. واقعنا المعاصر. ط: دار الشروق، ص: ١٢، ١٦١، ١٦٨.

إن مشكلة التبعية الفكرية، تكمن في تأثر الأفكار والمناهج والنظم التعليمية، والحياة الاجتماعية في الأمة الإسلامية، بل قد تعدت التبعية الفكرية إلى التأثير على العقل الباطن.

إن التحرر الفكري يعني الانعتاق من هذه التبعية الفكرية. والعودة إلى التصور الصحيح للإسلام بعقيدته وعبادته وأخلاقه ومبادئه وقيمه ومعاملاته في العقول والقلوب. فالأولوية في مجال الإصلاح، تقضي بتقديم تقويم الفكر وتصحيح التصور، وتصويب منهج النظر والعمل. فمن ساء تصوره لأمر ما، كان حريا أن يسوء سلوكه بخصوص هذا الأمر، فالسلوك تابع للتصور[١].

ب- تحرير الأوطان الإسلامية

حتى يقضي على التهديد الذي قد يأتي من إحياء معاني وقيم الإسلام خاصة قيم الحرية والإباء، سعى المحتل لطمس قيم النضال والجهاد ضد الظلم والطغيان، ولم يندحر المحتل بجيوشه عن الأراضي الإسلامية المحتلة، إلا بعد أن تأكد أنه قد ضمن بقاء وكلائه وأذنابه الذين يشوهون الإسلام عقيدة وشريعة.

ولقد انساقت جماهير الأمة، بعاطفتها الصادقة خلف دعوات التحرر من الاحتلال الأجنبي، المروجة لمشاريع وهمية، اثمرت وكلاء للمحتل، من العلمانيين والبعثيين والشيوعيين والناصريين والقوميين، كانوا على الأمة وعلى الإنسان المسلم، وعقيدته وإيمانه، أشر وأقسى من المحتل نفسه[٢].

وإن تحرير الأوطان الإسلامية من هؤلاء الوكلاء والعملاء الخونة هو حجر الزاوية والأساس الذي يجب أن تسعى إليه الشعوب المسلمة، حتى يتحقق لها وعد ربها ﷻ، وبشرى نبيها ﷺ.

ج- التحرر العلمي

بمحاربة الجمود والتقليد، واستعادة روح البحث والابتكار؛ فالعقل الحر هو الذي يبني الحضارة. والأمة التي لا تنتج أفكارها وعلومها تظل تابعة لغيرها، وتفقد قدرتها على حل مشكلاتها بأساليب تناسب واقعها وهويتها.

[١] - القرضاوي، يوسف. في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة. ط: مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص: ٢٢٠.
[٢] - تحرير الإنسان والأوطان من منظور إسلامي. (مقال)

ء- التحرر الاقتصادي

بمعنى تحقيق الاكتفاء الذاتي في الموارد الاستراتيجية (كالغذاء، والدواء، والسلاح)، والتحرر من هيمنة المؤسسات المالية الدولية والديون. لأن "من لا يملك قوته، لا يملك قراره". فالتبعية الاقتصادية تجعل القرار السياسي رهينة للقوى الخارجية.

هـ- التحرر السيادي والسياسي

أي التحرر من النفوذ السياسي الأجنبي المباشر وغير المباشر، وإقامة أنظمة حكم تقوم على العدل، والشورى، والمحاسبة. وامتلاك الإرادة الحرة في إدارة الشؤون الداخلية والخارجية.
هذا هو الضمان لأن تكون مصالح الشعوب هي المحرك الأساسي للدولة، وليس إملاءات القوى الكبرى أو المصالح الضيقة لثلة معينة.

و- التحرر التقني والتكنولوجي

أي امتلاك ناصية التكنولوجيا الحديثة بدلاً من كوننا مجرد مستهلكين لها. فهذا العصر هو عصر الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي. والتكنولوجيا اليوم هي أداة القوة والسيطرة؛ فبدونها تظل الأمة مكشوفة أمنياً ومعلوماتياً، وغير قادرة على المنافسة في السوق العالمية.

ز- التحرر الثقافي والقِيمي

أي الاعتزاز بالهوية الإسلامية واللغة العربية، والتحرر من "عقدة النقص" تجاه الثقافات الأخرى، مع الانفتاح الواعي على ما ينفع. والحفاظ على "الذات" في عالم يتجه نحو العولمة. فضياع الهوية يعني ذوبان الأمة، وبدون قيم أخلاقية صلبة، تنهار المجتمعات من الداخل مهما بلغت من القوة المادية.

الخلاصة

تحرير الأمة الإسلامية مفهوم شامل، ، أوله التحرر الفكري، يشمل كل أنواع التحرر الأخرى، كالعسكري، والسياسي، والعلمي، والاقتصادي، والتكنولوجي، والثقافي والقيمي.

٣ - الخلافة على منهاج النبوة

دولة الإسلام (الخلافة)

أول المآلات هي إقامة خلافة إسلامية راشدة على منهاج النبوة، أقرب شيء لما كان المسلمون عليه على عهد أبي بكر وعمر رضي الله ﷻ عنهما، والفترة الأولية من خلافة عثمان ﵁ (قبل تفجر الفتن في أرض الخلافة الراشدة). المآل هنا ليس مجرد "حكم" أو "سلطة"، بل هو وراثة الأرض لعمارتها بمنهج الله ﷻ. هو انتقال المؤمنين من خانة "المستضعفين المحكومين" إلى خانة "السادة الحاكمين" الذين يقودون الحضارة .فقوله ﷻ: ﴿**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي: جعل الأمة قائدة للإنسانية، تُقدّم نموذجًا حضاريًا. تاريخيا، استمرت دولة الخلافة الراشدة لمدة ثلاثين سنة بعد وفاة النبي ﷺ، ثم حلت محلها الدولة الأموية ثم العباسية، وفي النهاية، تسلمت الراية دولة الخلافة العثمانية، وسيطرت لفترة طويلة قبل سقوطها. وعلى الرغم من أن إعلان سقوط الدولة العثمانية كان في بداية القرن العشرين. إلا أن بداية سقوطها كان قبل ذلك بعدة عقود، بسبب الفساد، والبعد عن الإسلام الصحيح.

روى أبو داود في مسنده عن حذيفة، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّكُمْ فِي النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**"، ثُمَّ سَكَتَ. رواه أحمد عن أبي داود بإسناد حسن، وذكره ابن حبان في الثقات، واخرجه البزار في البحر الزخار.

وبُشرى رسول الله ﷺ، وعد ضمني [١]، فقد بشر النبي ﷺ بخلافة على منهاج النبوة، وهذه الخلافة ستعيد الأمة إلى مثل أيام الخلفاء الراشدين: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﵃ ، ,ولكن بعد عدة مراحل، وتجارب صعبة. يشير هذا الحديث إلى أن حال الأمة الإسلامية سيهبط تدريجيا، حتى يصل إلى أدني مستوى يمكن أن تصل إليه الأمة (الحكم الجبري)، أي الواقع الذي تعيشه الأمة حاليا، ولا يخفى ما وصلت إليه

---

[١] – البُشرى من ألفاظ الوعد الضمني، السعيدي: عيسى بن عبد الله، الوعد الأخروي شروطه وموانعه، ط: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١/٢٣.

الأمة[1]. ثم تبدأ في العودة إلى النور الذي تركه النبي ﷺ في صحابته الكرام ﷺ، وذلك من خلال اتباع هداية القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والاسترشاد بسيرته العطرة ﷺ.

ولقد تحقق ما قاله النبي ﷺ حيث مرت الأمة بمرحلة الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والحسن بن علي ﷺ والذي استمر في خلافته ستة أشهر، فتمت ثلاثون سنة من الخلافة الراشدة التي بشر بها النبي ﷺ. ثم بدأ الملك العاض، وهي مرحلة الحكم الوراثي الذي يعتمد على القوة والغلبة، وفيه يمسك الحاكم بالسلطة بقوة، وقد يكون فيها ظلم وقهر، لكنه لا يخلو من بعض العدل أحيانا. وهذه المرحلة قد بدأت بخلافة معاوية ﷺ .

معنى خلافة على منهاج النبوة

معنى خلافة على منهاج النبوة أن يطبق الإسلام كاملا غير منقوص، وأن تبدع الأمة كما لم تبدع في فهم الإسلام وتطبيق الإسلام في تاريخها قط، إلا على يد أبي بكر وعمر ونصف خلافة عثمان ﷺ على أساس أن قمة نضج الخلافة الراشدة كانت في هذه الفترة، قبل أن تبدأ الفتن. هذه الفتن التي كانت دروس في غاية الأهمية للأمة، فكأن هذه الفتن التي أدت إلى السقوط السريع للخلافة الراشدة، هي دروس للأمة تتعلمها حتى لا تسقط خلافتها القادمة سريعا كما سقطت خلافتها الأولى. هذه الخلافة الراشدة الثانية التي وصفها النووي رحمه الله ﷻ، بأنها خلافة (وارثة باقية معَمَّرَة في الأرض تملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما)[2]. بل على العاملين لإقامة الخلافة الراشدة الثانية أن يستفيدوا من كل تجارب التاريخ الإسلامي، ويتعظوا من كل الفتن والمشاكل التي حدثت، حتى يتم تفادي أسباب حدوثها، ويُكتب لهذه الخلافة المنشودة الاستمرار على المنهج القويم . كما إن الأمر يتطلب دراسة أحوال الجيل الأول، لاستخلاص العبر والنتائج، حول مقومات الجيل المنشود التي أبرزتها سورة النور.

وهذا الاستخلاف وإن كان بإذن الله ﷻ وبأمره مِنّة يَمُنّ بها على الأمم، إلا أن للاستخلاف أسبابه التي تباشرها الأمم والشعوب فتؤهلهم للاستخلاف، وتمكن لهم في الأرض، وتتم بذلك سنة الله ﷻ في خلقه ولن تجد لسنته تحويلا. فلا يمكن أن يجيء الاستخلاف اعتباطا وبلا عمل، وإنما يجيء نتيجة العمل الشاق والجهد المستمر[3].

---

[1] - أوضحنا ذلك في كتابنا: "متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية".

[2] - أبو الحسب، حاتم عبد العظيم. مقطع فيديو على موقع اليوتيوب.: هل نحن على موعد مع خلافة على منهاج النبوة قريبا؟ https://www.youtube.com/watch?v=ubqM١N٩Ffc٦

[3] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ١٩.

حكم نصب الخليفة

نَصْب الخليفة أو الإمام الأعظم، أو أمير المؤمنين، فرض كفائي [1]، وترجع أهمية نصب الخليفة إلى الدور الذي يقوم به والذي يُختصر في قولهم: "**حفظ الدين وسياسة الدنيا به**"، فهو يحمي الدين، وينفذ الأحكام الشرعية، ويقيم الحدود الشرعية، ويحصن الثغور، ويجاهد الكفار، ويجبي الفيء والصدقات، ويوزعها كما أمر الشرع، وغير ذلك مما يقوم به رئيس الدولة الإسلامية [2] .

فالهدف الأساسي هو الدين، وحفظه، وتفعيله في حياة المسلمين، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فإن نصب الخليفة يكون لتحقيق هذا الهدف، وليس هدفا بحد ذاته.

وإذا كانت الخلافة على منهاج النبوة تستدعي وجود خليفة صالح، فإنها تستدعي قبل ذلك: مجتمعات إسلامية، ملتزمة بالإسلام الكامل الشامل، والتوحيد الصحيح، فيخرج منها مثل هذا الخليفة، وتكون عونا له، لا حربا عليه.

إن هذا الأمر يدعونا إلى دراسة الصفات الواجب توافرها في المجتمع المسلم، والصفات الواجب توافرها في المرشح للخلافة، ومن يقومون باختياره (أهل الحل والعقد)، حتى نسعى في تحقيق هذه الصفات، طلبا للتمكين. فهذا الاستخلاف للمؤمنين سنة للحياة في الأرض، إن لم يتحقق فعلينا أن نراجع أنفسنا: هل حققنا الشروط كلها؟[3]

أهمية إقامة دولة للإسلام

إقامة دولة للإسلام أمر بالغ الأهمية، حيث يستطيع المسلمون أن يعيشوا دينهم الكامل الشامل في حياتهم، بشكل طبيعي؛ يؤكد ذلك الواقع المعاصر: فالذين يعيشون في دول غير مسلمة لا يتمكنون من العيش الإسلامي الشامل بشكل طبيعي في حياتهم، والذين يعيشون في دول إسلامية لا تُطبق الإسلام لديهم نفس المعاناة، مع اختلاف في الشدة من بلد إلى آخر. ولعل الترتيب في الآية يدل على ذلك، فلا تمكين للدين إلا بالاستخلاف والحكم، ولا أمن حقيقي إلا بالحكم الإسلامي، وتمكين الدين.

---

(٢) – الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن (ت ٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية، ط: دار الحديث – القاهرة،، ص: ١٧.

(٣) – المصدر السابق، ص: ٤٠.

[3] - لحَّام، حنان. من هَدْي سورة النور. ط: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص: ١٢٥.

وتدلنا أحداث السيرة العطرة، أن رسول الله ﷺ سعى بكل ما أوتي من قوة ومن فكر – بتأييد الوحي – لإقامة دولة للإسلام، تكون وطنا، يأمن فيها المسلمون، ولا يكون لأحد عليهم فيها أي سلطان إلا سلطان الشريعة. ولذلك فقد كان يعرض نفسه على القبائل، خاصة في موسم الحج كل عام، ليؤمنوا به، ويحموه ودعوته، حتى وفق الله ﷻ الأنصار من الأوس والخزرج إلى الإيمان به وبدعوته، وأرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم الإسلام، حتى إذا تهيأت المدينة لهجرته، هاجر إليها سعيا لإقامة المجتمع المسلم، المتميز، الذي تشرف عليه دولة مسلمة متميزة. فكانت المدينة المنورة هي دار الإسلام، ومقر الدولة الإسلامية الوليدة، التي يقوم فيه النبي ﷺ بمهمتين، الأولى أنه النبي ورسول الله ﷻ إليهم، والثانية أنه قائد المسلمين وإمامهم[1].

وفيما يلي بعض الأسباب التي تؤكد أهمية إقامة دولة للإسلام:

١- طبيعة الإسلام ورسالته، فهو دين عام، وشريعته شريعة شاملة، فلا بد أن تتغلغل بهذا الشمول في جميع نواحي الحياة، ولا يُتَصور أن تهمل شأن الدولة، وتدعها للمتحللين والملحدين، أو الفساق، ليديروها تبعا للأهواء. كما إن هذا الدين بطبيعته يدعو إلى النظام وتحديد المسؤوليات، ويكره الفوضى والاضطراب في كل الأشياء، لدرجة الأمر بتسوية الصفوف في الصلاة، وأن يؤم الناس أعلمهم، بل يقول في السفر: **(أَمِّرُوا أحدكم)**[2].

٢- الإسلام في حقيقته عقيدة ونظامًا، وهذا يقتضي أن يكون حُكمًا، ذلك أن قيام العقيدة يقتضي قيام النظام الذي أُعد لخدمتها، ولا يمكن أن يقوم النظام الإسلامي إلا في ظل حكم إسلامي يماشي النظام الإسلامي ويؤازره، إذ أن كل حكم غير إسلامي لا بد أن يؤدي إلى تعطيل النظام الإسلامي[3].

٣- في المجتمع المسلم المحكوم بشرع الله ﷻ يُمَكِّن المسلمون لدينهم، ويجسدوا فيه شخصيتهم، ويحيوا فيه حياة إسلامية متكاملة: توجهها العقيدة الإسلامية، وتزكيها العبادات الإسلامية، وتقودها المفاهيم الإسلامية، وتجملها الآداب الإسلامية، وتهيمن عليها القيم الإسلامية، وتحكمها التشريعات الإسلامية، وتوجه اقتصادها وفنونها وسياستها: التعاليم الإسلامية، ولا يقتصر تطبيق الشريعة فيه على الجانب القانوني

[1] - القرضاوي، يوسف. من فقه الدولة في الإسلام. ط: دار الشروق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص: ١٦.
[2] - المرجع السابق، ص: ١٨.
[3] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ٧٩.

كالعقوبات والحدود، ولا يختصر فيه مفهوم الشرع في جانب واحد من التشريع: هو التشريع الجزائي، أو الجنائي[١].

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين، ولا يتم ذلك عادة إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه كالجهاد والعدل، والحج والجُمَع والأعياد، ونصرة المظلوم، وإقامة الحدود، كلها لا تتهم إلا بالقوة والإمارة[٢].

٥- أكثر ما جاء به الإسلام لا يدخل تنفيذه في اختصاص الأفراد، وإنما هو اختصاص الحكومات، وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الإسلام ومقتضياته، وأن الإسلام دين ودولة، بلا تفرقة بينهما، فقد مزج الإسلام بينهما، حتى أصبحت الدولة في الإسلام هي الدين، وأصبح الدين في الإسلام هو الدولة، والدولة المثالية في الإسلام هي الدولة التي تقيم أمور الدنيا بأمر الدين، فتأخذ رعاياها بما أمر الله ﷻ، وتمنعهم عما نهى الله ﷻ ، فالدين في الإسلام ضروري للدولة، والدولة ضرورة من ضرورات الدين، فلا يقام بغير الدولة، ولا تصلح الدولة بغير الدين[٣].

٦- الدولة الإسلامية دولة عَقَدية فكرية، تقوم على عقيدة التوحيد، ومنهج رباني، فليست مجرد جهاز أمن يحفظ الأمة من الاعتداءات الخارجية أو الغزو الخارجي، بل إن وظيفة الدولة في الإسلام هي تعليم الأمة وتربيتها على التعاليم والمبادئ الإسلامية، وأن تهيئ الجو الإيجابي والمناخ الملائم، لتتحول العقائد الإسلامية والأفكار الإسلامية والمبادئ الإسلامية، إلى واقع عملي على الأرض، يكون قدوة لكل من يلتمس الهدى، كما يكون حجة على كل سالك سبيل الردى[٤].

٧- الدولة الإسلامية العقدية الفكرية، دولة لها رسالة عالمية، لدعوة البشرية إلى الهدى والنور الذي لديها، ومكلفة بالشهادة على الناس، والأستاذية للأمم، فقد أخرجها الله ﷻ لتكون خير أمة، ليس لنفسها وحسب بل للناس أيضا، قال ﷻ: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[٥] ، ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[٦].

---

[١] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٥.
[٢] - من فقه الدولة في الإسلام، ص: ١٨.
[٣] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ٨٣،٨٠.
[٤] - من فقه الدولة في الإسلام، ص: ٢٠،١٩.
[٥] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١١٠
[٦] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٤٣

٨- لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها. وهذا لا يتحقق إلا بإقامة دولة الإسلام وتمكين الدين والشريعة في المسلمين[١].

٩- الذي يحفظ كل المصالح الشرعية، ويحقق كل المقاصد الشرعية، هو إقامة الإمامة العظمى، أي إقامة الدولة الإسلامية الشرعية، فهي الأساس لكل ما عداها، الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض. وإقامتها من الفروض الكِفائية، وقالوا عنها: " إنها من الحقوق المشتركة بين الله ﷻ والعباد": أي أن إقامتها حق لله ﷻ وحق للأمة، لأنها ستنتظر في كل الحقوق [٢].

بناء الأمة مقدم على قيام الدولة

قد يظن البعض أن قيام الدولة واجب الحصول، بأي طريقة كانت. إن مثل هذا الفهم المغلوط، يفسد أكثر مما يصلح، وإلا فماذا تفعل الدولة الإسلامية، مع مجتمع لا يريدها، بل قد يحاربها في الظاهر وفي الباطن؟ إن التفكير المنطقي يدل على ضرورة قيام الدولة على مجتمع يحميها ويدافع عنها ويقيم الإسلام في نفسه، حتى يقوم في الدولة. ومما يدل على إن بناء الأمة مقدم على قيام الدولة ، ما يلي:

أ- الرسول ﷺ لم يهاجر إلى المدينة لإقامة الدولة إلا بعد أن سبقه معصب بن عمير، وهيأ له الأرضية المجتمعية التي تحمل الإسلام، وتدافع عنه، وعن دولته الوليدة.

ب- الخطاب الشرعي في الأمور العامة كالعدل والقسط، والجهاد والقتال، وتنفيذ الحدود والحكم بما أنزل الله ﷻ ، وتنظيم الأسرة والمجتمع، موجه أساسا لجماعة المسلمين، لإن الخطاب الشرعي يتعامل أولا مع الأمة، والأئمة ومن في حكمهم مخاطبون من خلالها، ومكلفون من قبلها. حتى العبادات التي تعتمد على النية الفردية الباطنة، يأتي بها الأمر جماعيا، وقد يأتي فرديا والقيام بها جماعي في أصله وأساسه كصلاة الجماعة. وأيضا الصيام له أبعاد جماعية بتوحيد شهره وبدايته ونهايته، وكذلك الحج وهو أكثر وضوحا. وفي كل ما سبق الخطاب ليس للدولة[٣]، لذلك نجد في سورة النور مثل قوله ﷻ: ﴿**ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ**﴾[٤] ، ﴿**وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ**﴾[٥] ، ﴿**قُل**

---

[١] - التحرير والتنوير، ١٨/٢٨٢.
[٢] - النظريات السياسية الإسلامية، ص: ٣١١.
[٣] - الأمة هي الأصل. ص: ١٢-١٥.
[٤] - النور: ٢
[٥] - النور: ٣٢

أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[1]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾[3] ومثل هذا المغزى واضح في كل خطاب جاء بصيغة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. كل ذلك موجهة في الأساس للأمة.

ج- ونصرة الدين والدفاع عنه والدعوة إليه وحمل رسالته للعالمين ليست متوقفة على الدولة ولا إذنها، ولا على العلماء فقط، فالله ﷻ قد خاطب في هذا الشأن عامة المؤمنين، قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[4]. فأمانة حفظ الدين ونصرته ثقيلة، وهي أعظم وأخطر من أن تحملها فئة أو فئتان فقط من الأمة (الحكام والعلماء)، بما يعرضها للضياع في حالة التقصير أو الضعف أو إذا ما قامت الدولة على غير هدى من الله ﷻ.[5]

ء- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من وظائف المجتمع، وليست خاصة بالعلماء ولا بالدولة فقط؛ وقد تضافرت نصوص القرآن والسنة المطهرة على وجوب تغيير المنكر، وإزالة الفساد قدر المستطاع[6]، قال ﷻ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[7].

هـ - والشورى التي تعني ألا ينفرد الإنسان بالرأي وحده في الأمور التي تحتاج إلى مشاركة عقل آخر أو أكثر، ليست خاصة بالدولة فقط، بل الشورى في الإسلام لها مجالها في حياة الفرد والأسرة والمجتمع أيضا. حيث يربي الإسلام الفرد المسلم أنه إذا أراد أن يقدم على أمر من الأمور المهمة التي تختلف فيها الوجهات، وتتعارض فيها الآراء والرغبات، فعليه أن يستعين باستخارة الله ﷻ وهي أمر رباني، ثم عليه أن يستشير من يثق برأيه وخبرته ونصحه وإخلاصه.

وفي الأسرة يدعو الإسلام إلى أن تقوم الحياة الأسرية على أساس من التشاور والتراضي، منذ بداية تكوينها، فتستأذن البكر، كما رغبت السنة آباء البنات أن يشاوروا أمهات بناتهن في أمر زواجهن. أما بعد بناء

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٥٤
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦
[3] - سورة النور، الآية رقم ٥٨
[4] - سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٨
[5] - الأمة هي الأصل، ص: ١٩:١٦.
[6] - الأمة هي الأصل، ص: ٢٣:١٩.
[7] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١١٠

الأسرة فينبغي للزوجين أن يتفاهما ويتشاورا فيما يهم الحياة المشتركة بينهما، وفيما يهم كل واحد منهما على جده، وفيما يهم حياة ذريتهما ومستقبلها[1].

وكذلك الشورى شأن من شؤون الجماعة المسلمة برمتها، وهي مالكتها وصاحبة الحق فيها، وفي تفويضها، وفي تقييدها وتنظيمها، بدليل فعله ﷺ، وقوله ﷻ: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[2] فالآية تتحدث إلى جماعة المؤمنين مباشرة وأصالة، قبل أن يكون لهم خليفة ولا دولة أصلا. فالشورى من صفات المؤمنين الذين ذكرت الآية صفاتهم، وليست خاصة بالأمراء وولاة الأمور[3].

الحركات والتنظيمات الإسلامية وادعاء إقامة خلافة

لا يصح لأي حركة إسلامية أو تنظيم إسلامي (أو يدعي الإسلامية كداعش)، أن يَدَّعي إقامة خلافة إسلامية، قبل إعادة بناء الأمة، بأي شكل من الأشكال، أو بغير الطريقة التي يجب أن يُختار بها الخليفة، لما يلي:

١- في صحيح البخاري[4] أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : " **ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ :وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَلَا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ :إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الْأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُبَايَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ؛ تَغِرَّةً** (مخافة) **أن يُقْتَلَا** ". . وقد قال ذلك ردا على من قال أنه سيبايع فلانا (طلحة بن عبيد الله) إذا مات عمر بن الخطاب ﷺ. خوفا من أن يظن البعض بشخص ما استحقاقه الخلافة، فيقومون بالسعي في ذلك، مع أن المذكور لا يستحق الخلافة. فلا يطمعن أحد أن يبايع وتتم له المبايعة، كما وقع لأبي بكر الصديق ﷺ، فإن بيعة أبي بكر ﷺ كانت فَلْتَة – لا يجوز أن تتكرر بنفس الطريقة – بسبب الظرف الذي كان وقتها؛ من غير مشورة من جميع من كان ينبغي أن يُشاوروا، حيث وقعت في الملأ اليسير أولا، ثم اجتمع الناس عليه ولم يختلفوا، لمَّا تحققوا من

---

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ١١٧:١٢٠.
[2] - سورة الشورى، الآية رقم: ٣٨
[3] - الأمة هي الأصل، ص: ٢٤:٢٦.
[4] - صحيح البخاري، حديث رقم: ٦٨٣٠.

استحقاقه لِما اجتمع فيه من الصفات المحمودة من قوته في الله ﷻ، ولين جانبه للمسلمين، وحسن خلقه، وورعه التام، فلم يحتاجوا في أمرهِ إلى نظر ولا مشاورة أخرى، وليس غيره في ذلك مثله[١].

٢- سلطان الخلافة وولائها يجب أن يشمل كافة المسلمين بغض النظر عن قلتهم أو كثرتهم – وأن يكون ذلك عن رضا منهم.

٣- اختيار الخليفة كان يتم بعد تشاور وتداول بين عامة أهل الرأي والمكانة في الأمة، بل إن اختيار عثمان ﷺ كان بعد مشاركة واسعة من عامة المسلمين رجالا ونساء.

٤- لا يجوز إكراه أحد على البيعة، وبيعه المُكرَه لغو.

٥- إذا بايع شخص حفنة من أصحابه وأعوانه، فهذا لا يخوله إلا أن يكون أميرا عليهم في شؤونهم الخاصة، أما أن يصبح بذلك خليفة للمسلمين، فدونه ما بين السماء والأرض.

٦- الخلافة الراشدة كانت خلافة وِحْدة ورحمة ونعمة على المسلمين، لا خلافة حروب أهلية بين المسلمين، ولا خلافة نقمة وفتنة وتمزيق وعذاب.

٧- قامت الخلافة الراشدة، على تحقيق المعاني والمقاصد والأعمال، ولم تقم لمجرد الشعارات والبيانات والمظاهر والألقاب. فليس في الشريعة تحريم أو إباحة أو وجوب لأحد الأشياء، بسبب اسمه أو شكله أو لونه أو غير ذلك، بل بسبب وجوب الوصف الشرعي فيه أو عدم وجوده. أما أولئك الحكام الذين اهتموا بمجرد الألقاب وتقديس أنفسهم، لم يجلبوا لشعوبهم وأمتهم إلا الفتنة والمحنة والوبال والخبال.

٨- اختفاء لفظ خليفة أو خلافة من حياة المسلمين إلى الأبد لا ينقص من دينهم مثقال ذرة ولا أصغر منها، لكن اختفاء العدل والشورى وشرعية الحكم هي الطامة الكبرى[٢].

دولة مدنية بمرجعية إسلامية

على مر التاريخ اعتبر الملوك والحكام في مصر القديمة، وفارس، وروما القيصرية أنفسهم أنهم ملوك وآلهة في الوقت نفسه، يحكمون بالحق الإلهي والسلطة الدينية، ثم جاءت الكنيسة في أوربا في العصور الوسطى،

---

[١] - القسطلاني، أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ت: المكتب العلمي بدار الكمال المتحدة. ط: دار عطاءات العلم – دار ابن حزم ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م، ١٩/٤٨-٦١.

[٢] - الريسوني، أحمد. الخلافة على منهاج النبوة والخلافة على منهاج داعش. مقال منشور على موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، يوم ٢٠١٩/٩/١٠م. https://iumsonline.org/ar/ContentDetails.aspx?ID=10306

وسيطرت على كل شيء باسم الرب، وأدى ذلك إلى أن دفعت الإنسانية في أوروبا ثمنا فادحا، فقد أصبحت هذه العصور مضرب المثل في الظلم والظلمات.

وقد تسربت عناصر من هذه النظرية بشكل محدود إلى أئمة الشيعة، وإلى عقول العديد من المستبدين والحكام والسلاطين، مما أعاق تطور الأمة، وأثقلها القيود، ودفعها إلى مرحلة من الجمود والتخلف، سادت العالم الإسلامي، وكبلته وأثخنته لعدة قرون[١].

"إن السلطة الدينية تعني أن يدعي إنسان ما لنفسه صفة الحديث باسم الله ﷻ، وحق الانفراد بمعرفة رأي السماء وتفسيره. وذلك فيما يتعلق بشؤون الدين أو بأمور الدنيا. وسواء في ذلك أن يكون هذا الادعاء من قبل فرد يتولى منصبا دينيا أو منصبا سياسيا، وسيان كذلك أصدرت هذه الدعوة من فرد أو من مؤسسة فكرية أو سياسية"[٢].

أما الإسلام فإنه يجمع بين الديني والدنيوي، بطريقة متوازنة، فهما منفصلان من خلال وضوح الحدود الفاصلة بينهما، لكنهما متصلان من حيث إن شرعية السلطة السياسية مستمدة من خضوعها لله ﷻ [٣] .

فالدولة في الإسلام ليست دولة دينية "ثيوقراطية" يتحكم فيها الكهنة أو رجال الدين في رقاب الناس وضمائرهم باسم الحق الإلهي، تحت زعم أهم يمثلون الإرادة الإلهية، أو مشيئة السماء في الأرض. بل هي دولة مدنية بمرجعية إسلامية. وهي بذلك تحمل الصفات التالية:

١- هي دولة مدنية تحكم بالإسلام، وتقوم على البيعة والشورى.

٢- يتم اختيار رجالها ممن توفر فيهم شرط القوة والعلم، أو الأمانة والحفظ. إلا في حالة الضرورات التي تبيح المحظورات.

٣- لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعني الذي عرفته مجتمعات أخرى، وإنما يوجد علماء متخصصون في علوم الإسلام، يقدمون النصح لأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٤- على الدولة أن تعينهم على أداء واجبهم، وأن يتكون منهم هيئة عليا أو محكمة دستورية عليا، تراجع مشروعات القوانين والأنظمة حتى لا يصدر منها ما يتعارض مع الإسلام.

---

[١] - عمارة، محمد. الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية. ط: دار الشروق ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص، ١٠،١١.
[٢] - المرجع السابق، ص: ١٤.
[٣] - رزوق، صهيب. صراع السلطة الدينية والسياسية في العالم العربي وآثاره، بحث خاص بمركز برق للأبحاث والدراسات.

كما إن الدولة الإسلامية ليست علمانية بالمعنى الذي عرفته الشعوب الأوروبية الذي ينكر الدين، أو يفصل الدين عن الدولة، ويعزله عن التأثير في الحياة والمجتمع في كافة الجوانب. فهي دولة مدنية (ليست عسكرية) تقيم أحكام السماء في الأرض وتحفظ بين الناس أوامر الله ﷻ ونواهيه، وبهذا تستحق نصره وتمكينه[1].

دولة الإسلام دولة عالمية

دولة الخلافة الإسلامية دولة عالمية غير عنصرية ولا إقليمية، ولا تقوم على أساس حدود أرضية، وفواصل جغرافية، فهي في الأصل دولة مفتوحة لكل من يؤمن بالمبادئ التي تقوم عليها، لها رسالة عالمية، فهي دولة فكرة وعقيدة، تذوب فيها كل فوارق الأجناس والأوطان والألسنة والألوان، يتوحد أبناؤها على الإيمان بإله واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، ولهم قبلة واحدة، وشعائر واحدة، وشريعة واحدة، وآداب واحدة. فهي بهذا أمة واحدة، تقوم على توحيد الكلمة، المنبثق من كلمة التوحيد.

ولا مانع من أن يكون البدء من دولة في أحد الأقطار الإسلامية، يوفق شبعها في تجسيد النموذج الإسلامي الصحيح على أرض الواقع ، ويصبر على الحرب الخفية والعلنية، والحصار المادي والأدبي، ما لا يصبر عليه إلا أولو العزم. فإذا وُفقت دول أخرى في عدة أقطار، يمكن الجمع بينهم في دولة واحدة (خلافة) على أساس الاتحاد الفيدرالي[2] أو الكونفدرالي[3]). فالخلافة ليست إقامة حكم إسلامي في إقليم، لكن حكم الأمة في الإسلام. والخلافة تقوم على ثلاثة مبادئ:

١- وحدة دار الإسلام، فهي دار واحدة لأمة واحدة مهما تعدد أوطانها وأقاليمها.

٢- وحدة المرجعية التشريعية العليا (القرآن والسنة).

٣- وحدة القيادة المركزية التي تقود دولة المؤمنين بالإسلام(الخلفية أو الإمام الأعظم)[4].

---

[1] - من فقه الدولة في الإسلام، ص: ٣٠،٣١.

[2] - الاتحاد الفيدرالي هو اتحاد بين عدة دول أو كيانات يُسمح فيه لكل كيان بالحفاظ على سلامته السياسية، وسن القوانين الخاصة به، والحكم الجزئي. ويقوم الأنظمة الفيدرالية بوضع السياسات الأساسية وتطبيقها، ويتم اتخاذ القرار بنظام يعتمد على توزيع مراكز السلطة والقرار لحماية حريات الأفراد والمجتمعات. ومن مميزاته: تقليل البيروقراطية، وتعزز الشعور بالتلاحم، وتوفر استقرار أكثر. ومن عيوبها تشكيل فجوات طبقية بين السكان، وعدم الوضوح في وظائف المؤسسات، وإمكانية استخدام سلطات الدول كوسيلة للمعارضة أو الضغط على الحكومة المركزية . ومن أمثلتها: الولايات المتحدة الأمريكية، وسويسرا، وكندا، وألمانيان وأستراليا والأرجنتين، والهند. عدي محمد. ما معنى الفيدرالية والكونفدرالية، مقال منشور على موقع موضوع يوم ٢٨ إبريل ٢٠١٩. https://mawdoo٣.com/ما_معنى_الفيدرالية_والكونفدرالية

[3] - الاتحاد الكونفدرالي يتكون من مجموعة من الدول المستقلة لتحقيق بعض الأهداف المشتركة، لكنها تفتقر لسلطة تنفيذية فعالة وحكومات مركزية طويلة الأمد، وتحتفظ الدول الأعضاء بتمثيلها الدبلوماسي المنفصل والمؤسسات العسكرية المنفصلة. وتتميز بالمساواة بين الدول المتحدة، ولا مركزية السلطة، واحتفاظ كل كيان بسيادته التامة، والتعاون. ومن عيوبها: ضعف الحكومة المركزية، والضعف الاقتصادي، وإمكانية حدوث نزاع بين الدول الأعضاء، من أمثلتها: الاتحاد الأوروبي، وحلف شمال الأطلنطي. ما معنى الفيدرالية والكونفدرالية (مقال).

[4] - من فقه الدولة في الإسلام، ص: ٣٢.

تعدد الدول الإسلامية

لا يشترط في العصر الحديث أن توجد دولة إسلامية واحدة، بسبب التغيرات السياسية الحاصلة، وخاصة أن علماء الإسلام قد أجازوا تعدد الحكومات أو الدول الإسلامية، وليس من الشرط أن تنحصر السلطة في فرد أو شخص أو أسرة. والذي يوجبه الإسلام في العلاقات بين دوله هو أن تتحقق الفروض والأصول الأساسية، وهي الاتحاد في أي صورة عملية بين المسلمين وأن يقيموا دولتهم على أساس الشورى وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يقوموا متضامنين بواجب الجهاد، وأن يعملوا لرقي الجماعات بالتزام الفضائل والدعوة إلى الموروث ومنع الرذائل أو إزالة المنكرات، وأن يبذلوا الجهد لنشر رسالة الإسلام بين العالمين[١].

الحُكم في الإسلام وسيلة لا غاية

الله ﷻ قدم على وعدهم بالأمن أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والشريعة فيهم؛ تنبيها لهم بأن سنة الله ﷻ أنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها[٢]. فالحكم في الإسلام وسيلة وليس مقصدا مطلوبا لذاته. والوسائل جزء من الشريعة، وهي نصف الشريعة أو أكثر[٣]. فالحكم وسيلة لإقامة شرع الله ﷻ ودينه[٤]، ووسيلة فعَّالة إلى مقاصد معينة يستطيع الحكم تحقيقها؛ لما للحاكم من سلطان يستطيع به تنفيذ ما يعجز عنه آحاد المسلمين، فيختصر الطريق ويبلغ الأهداف ويحقق مقاصد الإسلام[٥]. فجميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله ﷻ، وأن تكون كلمة الله ﷻ هي العليا[٦]. والإمام عز الدين بن عبد السلام يقول: "ولا شك أن نصب القضاة والولاة من الوسائل إلى جلب المصالح العامة والخاصة. وأما نصب أعوان القضاة والولاة فمن وسائل الوسائل"[٧].

---

[١] - النظريات السياسية الإسلامية، ص: ٢٠٨:٢١٤.

[٢] - التحرير والتنوير، ٢٨٢/١٨.

[٣] - الريسوني، أحمد. الدولة في الإسلام مجرد وسيلة وليست غاية. حوار مع أحمد رمضان، في موقع الجزيرة/سياسة/ميدان، يوم ١ إبريل ٢٠١٩.

[٤] - قسم الله، قسم الله عبد الغفار. مقاصد الحكم في الشريعة الإسلامية "دراسة مقارنة". بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، الصادرة عن كلية الشريعة والقانون بجامعة أفريقيا العالمية – السودان، ص: ٤٣.

[٥] - موقع مجلة الصمود الإسلامية الشهرية، الصادرة باللغة العربية عن إمارة أفغانستان الإسلامية. مقاصد الحكم في الإسلام (مقال)، يوم ١٣رجب، ١٤٤٣هـ.

[٦] - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى. ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، ٦٢/٢٨.

[٧] - ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز(ت ٦٦٠هـ). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. ط: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩١م، ٥٨/١.

الحكم في الإسلام فرع من فروع الدين وليس من أصوله

الخلافة، أو الإمامة العظمى هي نظام الحكم الإسلامي، وليست من أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان. فأركان الإيمان هي ما جاء في مثل قوله ﷻ: **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** وقوله ﷻ: **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ما وضحه النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: **(الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره)** [متفق عليه]. فالآيات والأحاديث لم تذكر الإمامة.

فإذا قيل: " قد دخلت الإمامة في عموم النصوص الدالة على الإيمان، أو هي من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أو دل عليها نص آخر". فنقول: "هذا كله لو صح لكان غايته أن تكون من بعض فروع الدين، لا أن تكون ركنا من أركان الإيمان، فإن ركن الإيمان ما لا يحصل الإيمان إلا به كالشهادتين، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فلو كانت الإمامة ركنا في الإيمان، لا يتم إيمان أحد إلا به لوجب أن يبين ذلك الرسول بيانا عاما قاطعا للعذر"[١]. وكذلك لكون نصب الإمام الموصوف بصفات الإمامة المخصوصة يعتبر من الفروض الكفائية، وهذه الفروض من الأحكام العملية لا الاعتقادية[٢].

وهذا الذي أوضحناه هو قَدْر الإمامة في دين الله ﷻ، لإن الشيعة قد جعلوا الإمامة من الإيمان الموصل إلى جنة الرحمن، حتى يؤمن الناس بالأئمة، اعتقادا منهم أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، حيث يعتقدون أن الله ﷻ يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزات، ويختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه ﷺ بالنص عليه، وأن ينصبه إماما للناس من بعده، للقيام بالوظائف التي كان على النبي ﷺ أن يقوم بها، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي ﷺ ، وإنما يتلقى الأحكام منه بتسديد إلهي. فالنبي ﷺ – في اعتقادهم – مُبلغ عن الله ﷻ، والإمام مبلغ عن النبي ﷺ، والإمامة عندهم متسلسلة في اثنى عشر، كل سابق ينص على اللاحق. بل أكثر من ذلك حيث وصل الأمر ببعض الشيعة الإمامية إلى اعتقاد أن أئمتهم أفضل من الأنبياء[٣].

---

[١] - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. ت: الدكتور محمد رشاد سالم. ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. ١٠٩/١.

[٢] - التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله (ت٧٩٣هـ). شرح المقاصد. ت: الدكتور عبد الرحمن عميرة. ط: عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٢٣٢/٥.

[٣] - عثمان، محمد رأفت. رياسة الدولة في الفقه الإسلامي. ط: دار الكتاب الجامعي، ص: ٢٤،٢٥.

وقد توهم بعض العلماء من أهل السنة بأن الإمامة من العقيدة، بسبب كلام بعض العلماء السابقين عليه عن الإمامة في مباحث علم العقيدة، إلا إن ذلك من الخطأ الذي وقعوا فيه. فإدراج بعض العلماء من أهل السنة الإمامة في علم العقيدة، لا يعطيها حق الانتساب إليه، فإن تحديد العلم الذي تنتمي إليه مادة علمية ليس راجعا إلى المكان الذي ذكرت فيه هذه المادة، وإنما إلى الأصل الذي تعود إليه. فلو قرأنا في أحد كتب التاريخ خلافا بين الأشاعرة والمعتزلة مثلا، فلا يسعنا إلا أن نقول أن هذا خلاف توحيدي رغم ذكره في كتب التاريخ. وأول من أدرج الإمامة في علم الفقه هو الإمام الشافعي ﷺ في كتاب الأم عند الكلام عن صلاة الجماعة[1].

مقاصد الحكم في الإسلام

إذا كان الحكم للإسلام ليس مقصودا لذاته، بل لغيره، فإن مقاصده أوضحها الإمام الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية"، وموجودة في كتاب "الأحكام السلطانية" لابن الفراء، بنفس النص. حيث بيَّن وظائف الخلافة أو الإمامة العظمى، أي المقاصد الأصلية للحكم في الإسلام، فقال: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[2]. فقد أجملها في هذين المقصدين الكبيرين.

المقصد الأول: حراسة الدين

والمقصود بالطبع دين الإسلام، فهو الدين المطلوب حراسته بالحكم، وحراسته تعني شيئين: حفظه وتنفيذه:

أولا– حفظ الإسلام

هذا المقصد من مقاصد الحكم الإسلامي، هو الذي أشار إليه قوله ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾[3]. فحفظ الإسلام يعني:

أ– إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلَّغَها رسول الله ﷺ وسار عليها صحابته الكرام ونقلوها إلى الناس من بعده، بلا تبديلٍ أو تحريف في هذه الحقائق والمعاني. فإذا حدث التبديل والتحريف بحجة حق الفرد في إبداء الرأي وحرية الفكر والاجتهاد؛ أو بسبب زيغ أو شبهة أو خطأ نتيجة فهمٍ سقيمٍ أو تضليلٍ خبيث، فيجب على ولي الأمر –الخليفة– أو نائبه أن يعمل على كشف الشبهة وإظهار الصواب بالدليل والبرهان، حتى يظهر الحق وتقوم الحجة، فإن أصرَّ المبطل على باطله وسعى إلى نشره في الناس مُنِعَ

---

[1]- رياسة الدولة في الفقه الإسلامي، ص: ٣٠-٣٣.
[2] - الماوردي، علي بن محمد بن محمد (ت٤٥٠هـ). الأحكام السلطانية. ط: دار الحديث – القاهرة، ص: ١٥.
[3] - سورة الحج، الآية رقم: ٤١

من ذلك وأقيم عليه ما يوجبه الشرع[1]. وقد أشار الفقهاء إلى ما ذكرناه، فقد قالوا: إنَّ على الإمام: " حفظ الدين على أصوله المستقرة التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدِّين محروسًا من خللٍ، والأمة ممنوعة من زلل"[2].

ب- "تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظهر الأعداء بغرة ينتهكون فيها مُحَرَّمًا، ويسفكون فيها لمسلمٍ أو معاهدًا دمًا"[3]، فاستيلاء الكفرة على دار الإسلام ضياع للإسلام، وطمس لحقائقه، وفتنة عظيمة للمسلمين، وزعزعة لعقائدهم، بسبب حكم الكفرة، وما يبذلونه لصرف المسلمين عن دينهم الحق بالوعد والوعيد، والتلبيس والخداع والتضليل[4].

ج- "جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يُسلم أو يدخل في الذمة، ليقام بحق الله ﷻ في إظهاره على الدين كله"[5]. فمن تمام حفظ الدين إعلاءه وإظهاره على جميع أنظمة الكفر، حتى لا يبقى للباطل حكم قائم ولا راية مرفوعة[6].

ثانيا- تنفيذ الإسلام

يتحقق هذا المظهر من حراسة الدين بأمور منها:

أ- تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع الدولة، وفي علاقة الدولة – دار الإسلام- مع غيرها من الدول.

ب- حمل الناس على الوقوف عند حدود الله ﷻ والطاعة لأوامره، وترغيبهم في ذلك، ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشريعة.

ج- إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي الإسلام؛ إذ لا يمكن الادعاء بحفظ الدين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك[7].

---

[1] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٠،٢٣١.
[2] - الأحكام السلطانية – الماوردي، ص: ٤٠.
[3] - المصدر السابق، ص: ٤٠.
[4] - أصول الدعوة، ص: ٢٣١.
[5] - الأحكام السلطانية – الماوردي، ص: ٤٠.
[6] - أصول الدعوة، ص: ٢٣١.
[7] - المرجع السابق، ص: ٢٣٢.

المقصد الثاني: سياسة الدنيا به

نعني بذلك أن تكون الدنيا محكومة بالدين، أي إدارة شؤون الدولة والرعية على وجه يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة، وهذا لا يتم إلا إذا كانت إدارة شؤون الحياة كلها وفقا لقواعد الشريعة الإسلامية ومبادئها وأحكامها، سواء المنصوص عليها أو التي استنبطها العلماء المجتهدون، وفق قواعد الاجتهاد السليم[1].

ومن أوجه هذه السياسة التي يضطلع بها الحكم الإسلامي، ويلتزم بها المسلم:

أ- إقامة العدل بين الناس

العدل من المقاصد التي يجب أن يرتز عليها أي نظام للحكم، وإقامة العدل بين الناس من أقدس الواجبات التي جاء بها الإسلام، وما أرسل الرسول ﷺ إلا لإقامة العدل بين الناس ورد الظلم[2]. قال ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[3].

ولا شك أن الناس إذا شعروا بإقامة العدل في المجتمع بين المسلمين وغير المسلمين، تستقر النفوس وتطمئن القلوب، وتهدأ الأحوال، ويعم الخير والأمن والأمان والسلامة والإسلام[4]. وقد أكد الإمام الماوردي على أن الواجب الثاني للخليفة أو الإمام الأعظم هو:" تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النَّصَفَة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعُف مظلوم"[5].

والعدل يتضمن إعطاء كل إنسان حقه وعدم ظلمه في شيء، فلا يكلف بما لا يجب عليه شرعا، ولا يؤخذ ماله بغير وجه حق، ولا يُمنع ما يستحق[6]، في هذا يقول الماوردي عند سرد واجبات الإمام: "وَالسَّابِعُ : جِبَايَةُ الْفَيْءِ وَالصَّدَقَاتِ عَلَى مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ نَصًّا وَاجْتِهَادًا مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا عَسْفٍ. وَالثَّامِنُ :تَقْدِيرُ الْعَطَايَا وَمَا يَسْتَحِقُّ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَقْتِيرٍ، وَدَفْعُهُ فِي وَقْتٍ لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرَ"[7].

---

[1] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٢.
[2] - قسم الله، قسم الله عبد الغفار. مقاصد الحكم في الشريعة الإسلامية "دراسة مقارنة". بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون ـ الصادرة عن كلية الشريعة والقانون بجامعة أفريقيا العالمية – السوادان، السنة ١٦، العدد ٣٢، ذو القعدة ١٤٣٩هـ ـ أغسطس ٢٠١٨م، ص: ٤٤.
[3] - سورة النساء، الآية رقم: ٥٨
[4] - أبو فارس، محمد عبد القادر. النظام السياسي في الإسلام. ط: دار الفرقان، عمان، الأردن ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، ص: ٤٥.
[5] - الأحكام السلطانية – الماوردي، ص: ٤٠.
[6] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٣.
[7] - الأحكام السلطانية – الماوردي، ص: ٤٠.

والعدل يُلزم الإمام اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء. ومرد الكفاءة إلى القدرة على ما يتولاه، ومرد الأمانة عدم التفريط بشؤون ما وُلي عليه[1]، وفي هذا يقول ﷻ: ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِين** ﴾[2]، وقد أشار الماوردي إلى هذا الأمر حيث قال: " التَّاسِعُ :اسْتِكْفَاءُ الْأُمَنَاءِ وَتَقْلِيدُ النُّصَحَاءِ فِيمَا يُفَوَّضُ إلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَيَكِلُهُ إلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ؛ لِتَكُونَ الْأَعْمَالُ بِالْكَفَاءَةِ مَضْبُوطَةً، وَالْأَمْوَالُ بِالْأُمَنَاءِ مَحْفُوظَةً"[3].

ولا يكفي أن يعين الخليفة (الحاكم المسلم) الأكفار الأمناء، بل عليه أيضا أن يراقبهم في أعمالهم، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد يخطئ بعضهم، أو يظلم الناس. ولذلك يقول الماوردي في الأحكام السلطانية: " الْعَاشِرُ :أَنْ يُبَاشِرَ بِنَفْسِهِ مُشَارَفَةَ الْأُمُورِ، وَتَصَفُّحَ الْأَحْوَالِ؛ لِيَنْهَضَ بِسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ وَحِرَاسَةِ الْمِلَّةِ، وَلَا يُعَوِّلُ عَلَى التَّفْوِيضِ تَشَاغُلًا بِلَذَّةٍ أَوْ عِبَادَةٍ، فَقَدْ يَخُونُ الْأَمِينُ وَيَغُشُّ النَّاصِحُ".[4] وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ **يَا دَاوُد إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتْبَعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[5].

ب- إشاعة الأمن والاستقرار

من واجبات الخليفة المسلم، إشاعة الأمن والاستقرار في دار الإسلام، حتى يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وينتقلوا في دار الإسلام آمنين مطمئنين. وهذا الأمر يتحقق بصورة كاملة حين يتم تطبيق القانون الإسلامي الجنائي (العقوبات الشرعية) على العابثين في الأمن، المعتدين على الناس، تطبيقا عادلا على الجميع بلا محاباة ولا تردد[6]. وهذا ما أشار إليه الإمام الماوردي بقوله: " وَالرَّابِعُ :إقَامَةُ الْحُدُودِ؛ لِتُصَانَ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الِانْتِهَاكِ، وَتُحْفَظَ حُقُوقُ عِبَادِهِ مِنْ إتْلَافٍ وَاسْتِهْلَاكٍ"[7].

ج- تهيئة ما يحتاجه الناس

الحكم الإسلامي يهتم بما يحتاجه الناس من صناعات وحرف وعلوم، لإنها من الفروض الكفائية التي يجب أن توجد في الأمة لسد حاجاتها[8]. وهذه الفروض تختلف باختلاف العصور والأماكن، فما يحتاجه الناس في زمان قد لا يحتاجونه في غيره، وما يحتاجونه في مكان قد لا يحتاجونه في غيره.

---

[1] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٣.
[2] - سورة القصص، الآية رقم: ٢٦
[3] - الأحكام السلطانية، ص: ٤٠.
[4] - المصدر السابق، ص: ٤٠.
[5] - سورة ص، الآية رقم: ٢٦
[6] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٥.
[7] - الأحكام السلطانية – الماوردي، ص: ٤٠.
[8] - أصول الدعوة، ص: ٢٣٥.

ء – استثمار خيرات البلاد

على الحاكم المسلم أن يستثمر خيرات البلاد ما يعود على الرعية بالخير والعيش الكريم، ولهذا فقد قال الفقيه المشهور أبو يوسف في كتابه القيم "الخراج" الذي وجهه إلى الخليفة هارون الرشيد: " إن على الخليفة أن يأمر بحفر الأنهار وإجراء الماء فيها، وتحميل بيت المال وحده نفقات ذلك"[١].

الخلاصة

من أهم المآلات التي يؤول إليها مستقبل الأمة الإسلامية: إقامة خلافة إسلامية راشدة على منهاج النبوة. ومعنى خلافة على منهاج النبوة أن يطبق الإسلام كاملا غير منقوص، وأن تبدع الأمة كما لم تبدع في فهم الإسلام وتطبيق الإسلام في تاريخها قط، إلا على يد أبي بكر وعمر. ونَصْب الخليفة أو الإمام الأعظم، أو أمير المؤمنين، فرض كفائي، وترجع أهمية نصب الخليفة إلى الدور الذي يقوم به والذي يُختصر في قولهم: "حفظ الدين وسياسة الدنيا به". فلا يشترط في العصر الحديث أن توجد دولة إسلامية واحدة، بسبب التغيرات السياسية الحاصلة.

وإقامة دولة للإسلام أمر بالغ الأهمية، حيث يستطيع المسلمون أن يعيشوا دينهم الكامل الشامل في حياتهم، بشكل طبيعي، كما إن طبيعة الإسلام تقتضيه أن يكون حُكما، وأكثر ما جاء به الإسلام هو اختصاص الحكومات، لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها، والذي يحفظ كل المصالح الشرعية، ويحقق كل المقاصد الشرعية هو إقامة الدولة الإسلامية.

وبناء الأمة مقدم على إقامة الدولة الإسلامية. والحكم في الإسلام ليس غاية في حد ذاته، وإنما وسيلة لإقامة شرع الله ﷻ ودينه، فالحكم في الإسلام فرع من فروع الدين، وليس من أمور العقيدة كما تقول الشيعة.

وللحكم في الإسلام مقاصد أولها حراسة الدين (الإسلام)، بحفظه عن طريق إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلَّغها رسول الله ﷺ، وبتحصين الثغور، وجهاد من عاند الإسلام. وتنفيذ الإسلام، بتطبيق أحكامه، وحمل الناس على الوقوف عند حدوده، وإزالة المفاسد والمنكرات. والمقصد الثاني هو سياسة الدنيا بالدين، بإقامة العدل بين الناس، وإشاعة الأمن والاستقرار، وتهيئة ما يحتاجه الناس، واستثمار خيرات البلاد.

---

[١] – أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت١٨٢هـ). الخراج، ت: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حين محمد. ط: المكتبة الأزهرية للتراث، ص: ١٢٣.

٤ – تحقيق خيرية الأمة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١]، يُذكِّر الله ﷻ الأمة بواجبها بعد أن اختارها لتحمل الرسالة، مقيدا هذه الخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان الله ﷻ[٢]، وخيرية هذه الأمة تقتضي أن يصل خيرها إلى غيرها، فيكون المعنى: كنتم خير الناس للناس. فالأمة الإسلامية ليست كالأمم، فهي أمة من طراز خاص، أخرجها الله ﷻ، ولم تُخرِج نفسها، وإنما أُخرجت لتكون رائدة لكل البشرية[٣]. فيكون مطلوبا منها أيضا نشر دعوة الله ﷻ في الأرض.

وخيرية الأمة الإسلامية ليست نابعة من عرقية، أو لغة، أو السكنى في إقليم بعينه، وإنما لما تحمله هذه الأمة من صفات: الإيمان بالله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٤].

يقول الإمام الغزالي: "الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد"[٥].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فرض كفاية لقوله ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦] حيث قال: ﴿ مِّنكُمْ ﴾ ولم يقل (كلكم). " فإذا قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة"[٧].

---

[١] - آل عمران: ١١٠

[٢] - مسلم، مصطفى، ومجموعة من العلماء. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. ط: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، ١٤١٣هـ - ٢٠١٠م، ٤٩٨/١.

[٣] - قطب: محمد. كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ط: دار الشروق ١٩٩٢، ، ص: ١٨٥.

[٤] - محمود، علي عبد الحليم. فقه الدعوة إلى الله، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ١٣٤/١.

[٥] - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ). إحياء علوم الدين. ط: دار المعرفة – بيروت،٣٠٦/٢.

[٦] - آل عمران: ١٠٤

[٧] - إحياء علوم الدين، ٣٠٧/٢.

نصيحة الحاكم الطاغية

من أهم واجبات أبناء الصحوة الإسلامية، في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التقدم إلى الحاكم الطاغية بالنصيحة والموعظة الحسنة، وتبصير الأمة بواجبها نحوه:

١- الحاكم الطاغية: تذكيره بما قد يجعله يتواضع ولا يستكبر في الأرض، وأنه عبد لله ﷻ ، كغيره من الناس، لا يحق له أن يطغى على عباد الله، فالله ﷻ أقوى منه وأكبر. ويكون هذا التذكير بكل أسول نافع وقول لين: ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾[1]. ويكون النصح بالتعريض والتصريح حسب المقام وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يكون بالكتابة، أو بإرسال رسول إليه، أو أي أسلوب آخر نافع وجائز شرعا.

٢- تبصير الأمة بوجبها: بتعليمها أن الله ﷻ حرم معاونة الظالم، ونهى عن الركون إليه، ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾[2]، وأن أعوان الظالمين لهم نفس الوصف، ويحشرون معهم: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾[3] ، ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ** ﴾[4]. ومن تبصير الأمة توضيح أن معاملة أعوان الحاكم الظالم، تكون مثل معاملته، بتحريم الركون إليهم، ولزوم وعظهم ونصحهم[5].

ولضخامة موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نكتفي هنا بالإشارة إليه، توضيحا لهدف استرداد خيرية الأمة الإسلامية.

---

[1] - طه: ٤٤

[2] - هود: ١١٣

[3] - القصص: ٨

[4] - الذاريات: ٤٠

[5] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٩٥-١٩٨.

٥ – ظهور الإسلام على الدين كله

الإسلام رسالة عالمية

من أهم مقاصد الشريعة في المحيط الإنساني العام تبليغ الإسلام باعتباره رسالة عالمية، موجهة للناس كافة، ويقع عبئ تبليغها على المسلمين. ومنهج الإسلام في ذلك هو الحكمة والموعظة الحسنة، والحوار العقلي المنطقي، لكن ليس من منهج الإسلام إجبار الناس على اعتناق العقيدة.

وإذا كان تحقيق هذا المقصد يحتاج إلى سفر الدعاة واتصالهم المباشر بالناس، فقد أضافت وسائل الاتصال الحديثة أبعادا أخرى عبر الإذاعات المسموعة والمرئية والانترنت. ويبقى مع ذلك أهمية الاتصال الشخصي والقدوة الحسنة.

ومن مظاهر المرحلة الحالية أن كثيرا من دول الغرب تتيح من الحرية الفكرية وحرية العقيدة أكثر مما يوجد في بلاد الإسلام، ويحتاج هذا المقصد إلى إعداد الدعاة إعدادا خاصا، بإتقان لغات الشعوب التي يُبعثون إليها، ودراسة عقلياتهم ومشاكلهم، ومعرفة المداخل الصحيحة إلى عقولهم وقلوبهم، وبيان العلاج الإسلامي لما يعانونه من مشاكل تختلف عن مشالك المسلمين في بلادهم[١].

المبشرات بظهور الإسلام على الدين كله

وقد بشر النبي بانتشار الإسلام في العالم كله، حيث روى تميم الداري قال: سمعت رسول الله يقول: **" ليبلغن هذا الأمر** (الإسلام) **ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يذل الله به الكفر"**[٢]. أي إن الإسلام سينتشر في الأرض كلها، حتى يتحقق وعد الله في كتابه العزيز ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[٣]، أي غلبة الإسلام على جميع الأديان. وقد غلب الإسلام اليهودية، والنصرانية، والوثنية العربية، والمجوسية الفارسية، وبعض أديان آسيا وأفريقيا، في القرون الإسلامية الأولى، لكنه لم ينتصر على جميع الأديان، ولا زلنا في انتظار تحقيق هذه البشارة[٤].

---

[١] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٧٠:١٧٢.

[٢] - مسند الإمام أحمد (٤:١٠٣).

[٣] - التوبة: ٣٣ ، الفتح: ٢٨ ، الصف: ٩

[٤] - القرضاوي، يوسف. سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (٨): المبشرات بانتصار الإسلام. ط: مكتبة وهبة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٢٨

كما إن فتح رومية لم يتحقق بعد، فقد سُئل النبي : أي المدينتين تفتح أولا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال: "**مدينة هرقل** (القسطنطينية) **تفتح أولا**"[1]. وإذا كان قد تحقق فتح القسطنطينية، فيبقى الجزء الثاني من البشرى، حيث يدخل الإسلام إلى أوروبا مرة أخرى، بعد أن طُرد من الأندلس، ومن البلقان (الدولة العثمانية). ويرى العلامة الإمام يوسف القرضاوي – رحمه الله– أن هذا الفتح سيكون عن طريق الدعوة، بالقلم واللسان، لا بالسيف والسنان[2]. وهذا ما نراه اليوم خاصة بعد طوفان الأقصى، حيث يدخل إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا أعداد كبيرة كل يوم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زيادة عدد المسلمين في دول الغرب له فائدة عظيمة على قضايا العالم الإسلامي، حيث ينشأ رأي عام قوي في دول تتعامل مع الرأي العام بشكل إيجابي، وتأخذ توجهاته على محمل الجد. وقد ظهر ذلك جليا في تفاعل الغربيين، حتى من غير المسلمين، مع قضية الإبادة الجماعية التي مارسها الكيان الصهيوني على أهل غزة.

[1] - مسند أحمد، حديث رقم ٦٦٤٥. قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.
[2] - المبشرات بانتصار الإسلام، ص: ٣٠.

كتب للمؤلف

١- دراسة وتحقيق جزء من أول "كتاب الوديعة" إلى آخر "كتاب قَسْم الفيء والغنيمة" من مخطوط "الابتهاج في شرح المنهاج" للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى ٧٥٦هـ). [رسالة ماجستير]

٢- نور الوعد الإلهي، "١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني".

٣- نور الوعد الإلهي، "٢- مقدمات فقه التمكين".

٤- نور الوعد الإلهي، "٣- فقه التمكين بآفاق وأبعاد جديدة".

٥- سلسلة جيل الوعد الإلهي المنشود (١): "متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية".

٦- سلسلة جيل الوعد الإلهي المنشود (٢): "ملامح المجتمع المسلم المنشود في سورة النور".

٧- سلسلة جيل الوعد الإلهي المنشود (٣): " الوعد بالاستخلاف وتمكين الدين والأمن (المقاصد – المآلات – المقدمات – المراحل) الجزء الأول . [هذا الكتاب]

جميع الكتب متوفرة على الشبكة العنكبوتية، في المكتبات الإلكترونية المجانية: مكتبة نور، فوله بوك، كتوباتي، مكتبة الكتب، أرشيف، مصورات عبد الرحمن النجدي (الكتب ١-٣).

للتواصل مع المؤلف:

nahowalnour@gmail.com

فهرس

٢ - مقصد تمكين الدين

٣ - مقصد الأمن الشامل

ثانيا - المآلات

١ – إصلاح المجتمعات الإسلامية

٢ - تحرير الأمة الإسلامية

٣ - الخلافة على منهاج النبوة

تم بحمد الله

بين يدي هذه السلسلة

فقدت الأمة الإسلامية مكانتها وريادتها بين الأمم، وأصبحت في حاجة إلى من يجدد لها أمر دينها، وينهض بدنياها، ويوحدها، ويردها كما كانت خير أمة أخرجت للناس.

إن الأمل لا يزال قائما في تغيير حال الأجيال الحالية من الأمة، بشرط أن يقوم المصلحون بواجبهم نحوها، ويتحدوا، ويعيدوا تشكيل وترتيب عقل الأمة من جديد، فهؤلاء من تنتظرهم الأمة لإصلاح هذا الجيل أو بناء جيل آخر جديد، تعود الأمة به إلى دورها المنوط بها، بالشهادة على الأمم بحضارة إسلامية حديثة، أساسها التوحيد، وغايتها إرضاء ربها الواحد الأحد.